دكتور
عبد المنعم إبراهيم الجميعى
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
ووكيل كلية التربية فرع جامعة القاهرة بالفيوم

دراسات فى تاريخ مصر السياسى فى العصر الحديث

- معركة نفارين البحرية ـ دراسة فى وثائق المعية السنية
- حقيقة دخول الأفغانى ومحمد عبده الحركة الماسونية
- العرابيون وقناة السويس
- عشق مصطفى كامل واسماء عشيقاته
- حمد الباسل ودوره فى الحركة الوطنية
- آثار الدكتور محمد حسين هيكل السياسية
- علاقة تأميم قناة السويس بحرب ١٩٥٦

دراسات فى تاريخ مصر السياسى

فى العصر الحديث

دكتور عبد المنعم إبراهيم الجميعى

استاذ التاريخ الحديث والمعاصر

ووكيل كلية التربية فرع جامعة القاهرة بالفيوم

- معركـة نفـارين البحريـة - دراسـة فـى وثـائق المعيـة السنية
- حقيقة دخول الأفغانى ومحمد عبده الحركة الماسونية
- العرابيون وقناة السويس
- عشق مصطفى كامل واسماء عشيقاته
- حمد الباسل ودوره فى الحركة الوطنية
- آثار الدكتور محمد حسين هيكل السياسية
- علاقة تأميم قناة السويس بحرب ١٩٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تتناول هذه المجموعة من البحوث والدراسات موضوعات متنوعة فى تاريخ مصر السياسي كنت قد قمت بإلقائها فى عدد من المنتديات والمؤسسات العلمية فى مصر وقد رغبت فى تجميع هذه الدراسات ، وإعادة طبعها خشية ضياعها فى زحمة التأليف والتواليف التى يذخر بها سوق النشر .

وقد تناولت الدراسة الأولى " معركة نفارين البحرية " تلك المعركة التى خاضها الجيش المصري فى أوربا فى عصر محمد على فى عام ١٨٢٧ وهذه الدراسة ألقيت ضمن محاضرات الموسم الثقافي للجمعية المصرية للدراسات التاريخية فى ٢٣ فبراير ١٩٩٧ .

وتناولت الدراسة الثانية موضوعا بعنوان " حقيقة دخول جمال الدبن الأفغانى ومحمد عبده فى الحركة الماسونية " وهذه الدراسة قدمت لمؤتمر الحركات الهدامة فى التاريخ الإسلامي قديما وحديثا والذي أقيم بكلية الآداب جامعة الزقازيق فى نوفمبر ١٩٩٠ .

وتناولت الدراسة الثالثة موضوعا بعنوان " العرابيون وقناة السويس " وهذه الدراسة قدمت إلى ندوة قناة السويس بمناسبة اليوبيل الفضي لتأميم القناة ١٩٥٦-١٩٨١ والتي عقدت بقصر الزعفران بجامعة عين شمس فى مارس ١٩٨٣ .

وتناولت الدراسة الرابعة عرضا لكتاب شيق كنت قد عثرت عليه أثناء تواجدي بالولايات المتحدة فى عام ١٩٨٣ وعنوانه " عشق مصطفى كامل واسماء عشيقاته " .

وتعرضت الدراسة الخامسة لحمد الباسل ابن الفيوم والذي شارك سعد زغلول فى كفاحه وقام بالدفاع عن القضية المصرية وهذه الدراسة قدمت لمؤتمر الفيوم عبر العصور الذي عقد فى كلية التربية بالفيوم في ٢٣ مارس ١٩٩٦ .

وتناولت الدراسة السادسة " آثار الدكتور محمد حسين هيكل السياسية " وهذه الدراسة قدمت لندوة " محمد حسين هيكل وجهود الاستنارة المصرية " التى عقدها المجلس الأعلى للثقافة فى الفترة من ١٤ إلى ١٦ ديسمبر ١٩٩٦ .

أما الدراسة السابعة فكانت عن علاقة تأميم قناة السويس بحرب ١٩٥٦ وألقيت بالجمعية التاريخية ضمن ندوة " أربعون عاما على تأميم القناة " والتي أقيمت فى الأول والثاني من ديسمبر ١٩٩٦ .

ولما كان ينبغي أن يكون فى كل بحث لي جديد فإنني أود أن أكون قد استطعت تقديم شيئا جديدا فى ميدان تاريخ مصر السياسي ذلك الميدان الذاخر بالأحداث الهامة والتغيرات المثيرة .

أسأل الله أن يرزقنا السداد فى القول والعمل ،

والله ولى التوفيق .

د . عبد المنعم إبراهيم الجميعى

القاهرة – المهندسين

في العاشر من ديسمبر ١٩٩٧

١- معركة نفارين NAVARINE البحرية

٢٠ أكتوبر ١٨٢٧ (١٢٤٣هـ)

دراسة فى وثائق المعية السنية

أهجت يايوم نفارين أشجانى
ففيك طاشت رجوم الحاسد الجانى
وفيك دالت أمانى النيل واندثرت
عرائس النيل لم تظفر بميدان

من قصيدة أحمد زكى أبو شادى : نكبة نفارين

أولاً : المقدمة

كتابة التاريخ من واقع مصادره الأصلية تتيح للموخ الإلمام الدقيق بحقائق العصر الذى يدرسه، وتجعل أمامه صورة الأحداث واضحه وتضيف دلالات جديدة وموضوعيه لبحثه ، وتجعله ينهج نهج الأسلوب العلمى الذي يحتم عليه ألا يعتمد على النقل عن الغير وإنما يستقى التاريخ من أوثق المصادر والأصول التتى تجعله يقف على حقائق الأمور بلا أدنى شك أو موارية ، فالوثائق هى المادة الخام التى تحمل روح العصر الذى كتبت فيه ، والتى تعطى الفهم الصحيح له وتفسر احداثه .

وديوان المعيه السنية[1] بقسميه العربى والتركى والذى اعتمدنا عليه فى كتابة هذه الدراسه يتميز عن غيره من الدواوين بأهميته التاريخيه خاصة وأنه الديوان الذى ينشر أوامر الوالى ، ويفحص مختلف أعمال الدولة ، ويفصل فى القضايا التى تقدمها إليه الدواوين الأخرى ، وكانت بواسطته يتم الأتصال مع الدول الأخرى .

وهذا الديوان عبارة عن وحدة أرشيفيه متكامله منظمه تشمل العديد من الدفاتر والمحافظ ويتكون القسم العربى منه من ٥٠٤ سجلاً أقدمها السجل رقم (١) بتاريخ سنه ١٢٤٥هـ (١٨٢٩م) وأحدثها بتاريخ ١٢٩٧ هـ (١٨٧٩م) وهذه السجلات تشمل العديد من الأوامر والشروح والخطابات والفرمانات .

أما القسم التركى من دفاتر المعيه والذى اعتمدنا عليه بصفه اساسيه فى هذه الدراسه فمعظمه مترجم إلى العربيه ، وبداية كتابة أوامر الوالى وتعليماته فيه أقدم من سجلات القسم العربى فمن المعروف ان الأوامرالحكومية الرسمية كانت تكتب فى بداية عصر محمد على باللغه التركيه ، ثم كتبت بالتركيه والعربيه ثم رجعت إلى التركيه فقط ، وأن هذه الوثائق قد تم ترجمة معظمها إلى العربيه فى عصر الملك فؤاد الذى عمل على إماطة اللثام عما أحتوته دار المحفوظات من وثائق بهدف الإشاده بأعمال جديه إبراهيم ومحمد على ووالده إسماعيل وابراز دورهم فى تأسيس مصر الحديثه[2] .

والوثائق التى نعرض لها تمثل صوره حيه بالأسانيد والأرقام الرسميه لحروب محمد على فى بلاد اليونان منذ ان طلب منه السلطان محمود الثانى مساندته فى إخماد الثوره اليونانيه وحتى واقعة نفارين البحريه وما أعقبها من تطورات .

---

[1] أطلق على هذا الديوان مسميات عديدة منها ديوان الوالى ، وديوان شورى المعاونة ، والديوان العالى وقد نشرت وزارة الثقافة والإرشاد القومى السجل الأول من القسم العربى من هذا الديوان والذى يشمل الفترة من ٨ يوليو ١٨٢٩ إلى ٢٣ ديسمبر ١٨٣٠ فى يوليو ١٩٦٠ .

[2] ظلت التركية لغة الدواوين معظم عصر اسماعيل حتى ترجم عبد الله فكرى اللوائح إلى العربية .

للتفاصيل انظر كتابنا اتجاهات الكتابة التاريخية فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر ، القاهرة ، عين للدراسات والنشر ١٩٩٤ ص ٤٥ وما بعدها .

والجدير بالذكر ان لغة هذه الوثائق سواء العربية أو المترجمة من التركية فـى معظمها ركيكة لم يراع فيها قواعد النحو أو الهجاء إلى جانب امتزاجها فى معظم الأحيان بكلمات تركيه وفارسيه وقد إضطررنا حفاظاً على الأمانه التاريخيه إثبات هذه الوثائق بأسلوبها كما هى وعدم التدخل بالتصويب لأى خطأ يكون مصدر الوثيقه قد وقع فيه حفاظاً على أصالتها ، ومراعاة لأسلوب العصر الذى كتبت فيه .

والجدير بالذكر أن التاريخ المتبع فى تسجيل هذه الوثائق هو التاريخ الهجرى ، ويذكر أحياناً بجانبه التاريخ القبطى خاصة فى الوثائق المتعلقة بالزراعة ومواعيدها .

من المعروف أن بلاد اليونان كانت جزءاً من السلطنه العثمانيه منذ أن دخلتها قوات محمد الفاتح فى عام ١٤٥٣م ، وأن السلطان العثمانى كان يرسل إليها من يحكمها من ولاته حتى الربع الأول من القرن التاسع عشر واستمرت الأمور على ذلك المنوال حتى أسس التجار اليونانيون جمعية اطلقوا عليها هيتريا أى جمعية الإخوان Hetairia Philikc بهدف طرد الأتراك من أوربا ، وتخليص اليونان من التبعيه الأسلاميه ، وإنقاذ الحضارة الإغريقية من سيطرة الأتراك تحقيقاً لوصية بطرس الأكبر وكاترنيا.

وقد استندت هذه الجمعيه على عدة ركائز منها :.

مبادئ الحرية والمساواة التى أطلقتها الثورة الفرنسية ، والمساندة المادية والمعنوية من العديد من الجمعيات الأهلية التى تشكلت فى معظم بلدان أوربا تحت اسم جمعيات محبى اليونان هذا بالإضافه إلى تشجيع بعض الدول الأوربيه خاصة الروسيا على الثورة ضد العثمانيين ، واشتداد النعرة ضد مساوئ الحكم العثمانى والمبالغة فى وصف هذه المساوئ .

ونتيجة لذلك اتخذ اليونانيون من المورة حصناً منذ عام ١٨٢١م وشكلوا حكومتهم ، واشتعلت نيران ثورتهم ، واستطاعوا ان يكبدوا العثمانيين خسائر فادحه حيث قاموا بتوجيه الضربات المفاجئه للحاميات العثمانيه فى العديد من المواقع ، كمال ضيقوا الخناق على الأسطول العثماني المرابط فى المياه الألبانية ، وقطعوا الطريق عليه حتى أضحى كالأسير مما اضطر السلطان العثمانى محمود خان [(١)] إلى طلب النجدة من محمد على والى مصر لعله يستطيع بجيشه واسطوله انقاذه من هذه الورطة وإعادة الأمور إلى نصابها فى نظير منحه لقب "حاكم كريت والمورة " ولقب " قاطع دابر الكفرة والمشركين[(٢)] " .

وعلى الرغم من أن بلاد اليونان لم تكن مطمحاً لآمال محمد على فى أى وقت من الأوقات فقد أكدت الوثائق أن محمد على لم يتردد لحظة فى إجابة السلطان إلى طلبه [(٣)] بل حاول إقتناص الفرصة ليؤكد للسلطان مدى قدرته على مساندته فى الظروف الصعبة ، وإظهار تمام رضوخه لما تأمره به الدولة فأرسل رسالة إلى السلطان يقول فيها " إنى بصفة كونى خادماً لولى نعمتى صاحب الشوكة السلطان المعظم فإنه يمكن للدولة العلية أن تطلب جميع ما تريد ، وإنى مستعد للقيام به وفاءً بحق الدين والملة ، وأن ذلك عندى من الأمور المعتنى بها ، وإنى

---

(١) السلطان محمود الثانى .

(٢) رينيه وجورج قطاوى : محمد على وأوربا - ترجمة الفريد يلوز - القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٢ ، ص ٨١ - ٨٢ .

(٣) دفتر معية تركى بتاريخ ٢٩ رمضان ١٢٣٦ هـ وثيقة رقم ٢٩٢ .

لا أتأخر عن بذل نفسى فى سبيل تقوية شأنها وإعلاء كلمتها ورفع قدرها [1] " . ونتيجة لذلك أمر محمد على صهره أمير البحر محرم بك[2] بتجهيز الإسطول والتحرك لمساندة الإسطول العثمانى المحاصر ، وتعزيزه بالمهمات والذخائر[3] .

وقد أعد محرم بك أربع عشرة سفينة حربية بما يلزمها من الجنود ، وأقلع بها لمساندة الدولة العثمانية فى محنتها وبعد أن وصل إلى مياه كريت إشتبك مع بعض السفن اليونانية التى كانت تهاجم سفينة تجارية عثمانية ، كما قام بمطاردة سفن القراصنة فى بحر إيجه ، ونظراً للخسائر التى تعرض لها الإسطول المصرى فى هذه المناوشات عاد إلى الأسكندرية مضطراً فى محاولة لإعادة تنظيم وتعويض ما فقده وإصلاح ما يحتاج من السفن إلى ترميم[4] .

وفى محاولة من محمد على لتعزيز الموقف أعد أسطولاً أخر يتكون من ١٨ سفينة تحت قيادة " طبو زادة أوغلى قبوجى باشا محمد أغا " لمساندة الأسطول العثمانى والعمل على تخليصه من الحصار[5] .

كما أعد جيشاً برياً مكوناً من ١٧ ألف جندى من المشاة ، وأربعة بلوكات من المدفعية وسبعمائة وخمسين من الفرسان ، وأوكل قيادته لابنه إبراهيم ومساعده الكولونيل سيف[6] .

وقد أقلعت هذه الحملة من الأسكندرية فى ١٩ يوليو ١٨٢٤ واتفق على أن يتجمع الأسطولان التركى والمصرى فى جزيرة رودس ثم يتحركا فى إتجاه الجزر اليونانية المتناثرة فى بحر إيجة حيث كانت تمثل المعقل الرئيسى للثوار والقراصنة الذين هددوا المراكب العثمانية وبعدها يتحركون نحو شبه جزيرة المورة المركز الرئيسى للثورة .

وطبقاً لتعليمات الباب العالى فقد تولى القيادة البحرية العليا للأساطيل القبطان " خسرو باشا[7] ، بينما تولى " إبراهيم باشا " قيادة القوات البرية .

---

[1] انظر وثيقة رقم (١) تحت عنوان رسالة من محمد على إلى السلطان محمود خان .

[2] أصله من قوله ، وقد استخدمه محمد على فى كثير من المهام ، ولقته به زوجه بكريمته تفيده هانم ، وجعله محافظاً للأسكندرية ، كما أحال إليه إدارة أسطوله وإشترك فى حرب المورة وواقعة نفارين ثم عاد إلى الأسكندرية محافظاً .
أنظر دار الوثائق : محافظ إيحاث ، محفظة ١١٤ .

[3] أنظر وثيقة رقم (١) بتاريخ ١٠ شوال ١٢٣٦هـ .
ومن المعروف أن تكوين البحرية المصرية فى العصر الحديث بدأ فى عام ١٨١٠ منذ أن شرع محمد على فى خوض غمار الحرب مع الوهابيين ففى ترسانة بولاق أنشئت السفن التى إستخدمتها مصر فى البحر الأحمر خلال حروبها مع الوهابيين ، وفى ترسانة الأسكندرية أنشئت السفن التى كانت تمخر عباب البحر المتوسط حيث عهد محمد على إلى شاكر أفندى الأسكندرى وإلى الحاج عمر أحد مشاهير المعلمين فى بناء السفن بالأسكندرية مهمة إنشاء وعمارة إسطوله ، كما أنشأ إدارة خاصة لهذا الإسطول جعل على رأستها صهره محرم بك .

[4] فقد الإسطول المصرى فى هذه المناوشات ثلاث سفن ، كما تعطل أربعة .
أنظر عبد الرحمن زكى : التاريخ الحربى لعصر محمد على ، القاهرة دار المعارف ١٩٥٠ ص ١٧٩ .

[5] أنظر الوثيقة رقم (١) .

[6] دفتر ١٣ معية تركى بتاريخ غرة رجب ١٢٣٩هـ (١٨٢٤م) ص ١٠٤ وللتفاصيل انظر عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ، القاهرة ، النهضة المصرية ، الطبعة الثالثة ١٩٥١ ص ٢١٦ ، وبييركرابيتس إبراهيم باشا – ترجمة محمد بدران – القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧ ص٧٠ .

[7] أول والى عثمانى لمصر بعد جلاء الفرنسيين عنها فى عام ١٨٠١ ، وبعد أن تم إبعاده عن مصر بفعل دسائس محمد على تولى الصدارة العظمى أكثر من مرة فى الأستانة .
أنظر دار الوثائق : محافظ أبحاث محفظة ١١٤ موضوعات متنوعة .

ونتيجة لعدم توحيد أمر القيادة العليا في يد قائدٍ واحدٍ يستطيع إدارة دفة القتال ، ونظراً للكراهية الشديدة التي كان يكنها خسرو باشا لمحمد علي وإبنه ، ولرغبته في إظهارهما أمام السلطان بمظهر غير المتعاون وغير المهتم بمصلحة السلطنة أخذ خسرو باشا في كتابة التقارير ضد ابراهيم وإرسالها إلى الأستانة ، كما إشتكى إبراهيم من " خسرو " لعدم إسعافه بالسفن اللازمة أثناء حصار ميسولونجي ونتيجة لذلك وحرصاً على حسن سير العمليات الحربية طالب محمد علي السلطان بأن يتولى ابنه ابراهيم القيادة العليا للأسطول بجانب قيادته للقوات البرية حتى يتمكن من إحراز النصر[1]

ومع أن السلطان قد وافق على عزل خسرو من القيادة البحرية فإن لم يعيّن ابراهيم مكانه بل عيّن عزت باشا قبودانا[2] للأسطول كما أصدر السلطان فرماناً في ٦ مارس ١٨٢٤ بتعيين إبراهيم باشا والياً على جزيرة كريت ومورة ، ومنحه الحرية الكاملة لإعادة النظام والاستقرار إلى بلاد اليونان .

وسارت العمليات الحربية على قدم وساق ، وفي حين كانت القوات البرية بقيادة إبراهيم باشا تحقق الانتصار تلو الآخر كان الأسطول العثماني المصري[3] يتلقى الضربات الموجعه في البحر ويحقق اليونانيون العديد من الانتصارات عليه وقد يرجع السبب في ذلك إلى مهارة اليونانيين البحرية ، وعدم وجود قواد بحريين أكفاء لدى العثمانيين أو محمد علي هذا بالإضافة إلى حداثة عهد المصريين بركوب البحار ، وقدرة السفن اليونانية الصغيرة على المناورة وخفة الحركة أكثر من السفن العثمانية الضخمة ثقيلة الحركة .

وعلى أي حال فقد استغل ابراهيم باشا الخلاف الذي دبّ في معسكر الأغريق ، وتذمر بعض بحارتهم وإضرابهم بسبب عدم دفع رواتبهم واستطاع أن يضرب الحصار على نفارين Navarine معقل بلاد اليونان وتمكن من اسقاطها في الثامن عشر من مايو ١٨٢٤ وكانت هذه المعركة فاتحة انتصاراته في حرب المورة ، كما استطاع احتلال تريبولتزا Tripolitza بوسط اليونان في الثالث والعشرين من يونيو ١٨٢٥ . وفي اعقاب ذلك أخذت قوات ابراهيم باشا تأهب للزحف نحو نوبليا Nauplia [4] قصبة بلاد اليونان مما أدى إلى اقتراب الثورة اليونانية من نهايتها دون أن تحقق مبتغاها في الاستقلال .

ونتيجة لذلك إرتاعت أوربا خشية من عواقب انتصار القوات المصرية ، وعقدت نيتها على ألا يستكين الصليب للهلال [5] فبدأت الحكومات الأوربية في الإساءة إلى سمعة ابراهيم باشاوتشويه صورته أمام الرأى العام الأوربي باتهامه بالبربرية لقيامه بسفك دماء الأسرى ، وخرق قوانين الحرب .

---

[1] أنظر وثيقة رقم (٧) تحت عنوان رغبة محمد على فى توحيد القيادة العليا للإسطول ووضعها فى يد إبنه إبراهيم .

[2] بمعنى قائداً للأسطول .

[3] كان الأسطول المصرى مكوناً من ثمانى عشرة سفينة حربية على حين كان الأسطول العثمانى مكوناً من ست عشرة سفينة ، وأربع سفن تونسية وجزائرية ، وست حراقات ، وأربعين مركباً لنقل الجنود .

[4] كانت حكومة الثورة قد إتخذت من هذه المدينة عاصمة ومقراً لها .

[5] بيير كربيتس : إبراهيم باشا – ترجمة محمد بدران – القاهرة – لجنة التأليف والترجمة ١٩٣٧ ص ٧٧ .

وبينما كان القائد المصرى يصلي الثوار ناراً حامية ويتحقق له الفوز الساحق فى المعارك التى خاضها والتى كان أبرزها سقوط (مسولنجى) Missolonghi في الثالث والعشرين من أبريل ١٨٢٦ [١] مما جعل الطريق إلى أثينا مفتوحاً رأت الدول الأوربية أنه لا مفر من التدخل الفعلى لمساندة اليونانيين وتأييد جانبهم . وتحكى لنا الوثائق عن عقد إتجلترا وفرنسا وروسيا لمؤتمر فى لندن فى السادس من يوليو ١٨٢٧ بقصد إنهاء الأزمة اليونانية ، وإعادة حبل الأمن فى البحر المتوسط[٢] واتفاقها على ضرورة قيام الباب العالى بمنح بلاد اليونان استقلالاً إدارياً فى ظل السيادة العثمانية ، وعلى أساس دفع جزية سنوية ، وإذا لم يقبل الباب العالى هذه الوساطة فى خلال شهر من الزمان ، ويوافق على وقف القتال فإن الدول الثلاث تتفاوض فيما بينها " لتفرض الهدنه على الطرفين بمنعهما من مواصلة القتال ، من غير أن تشترك هى مباشرة فى الحرب "

وبينما كانت المناورات السياسية مستمرة ، وجهود الدول الأوربية لوقف القتال تتحرك فى كافة الأتجاهات استولى إبراهيم باشا على أثينا ، وضرب الحصار على قلعة الأكروبولسAcropolis حتى سلمت فى ٢٧ يونيو ١٨٢٧ مما شجع السلطان على رفض وساطة الدول الأوربية بحجة أن معالجة أمر العصاة من حقوق الدولة العلية ، وأن الثورة اليونانية تعد مسألة داخلية بحتة ، وأن السلطان لن يقبل أى مسعى فى هذا السبيل لأن التدخل فى مثل هذه الشئون بالنسبة للعلاقات الدولية يعد أمراً فى غير محله[٣].

وعلى الرغم من اصرار السلطان العثماني على موقفه وتشدده في معالجة الأمور ، فقد كان لمحمد علي رأيٌ أخر فرضه عليه تفكيره في عواقب الأمور إذا ما تدخلت أساطيل إنجلترا وفرنسا وروسيا في المعارك لصالح الثوار ونتيجة لذلك أرسل إلى الصدر الأعظم بالآستانة يعرض عليه الحالة الحربية في بلاد المورة بشكل واضح والمأزق الذي يمكن أن تتعرض له القوات والأساطيل الإسلامية إذا لم يتم تسوية الأمر سلميا بقوله " إن عمل الدول في الوقت الحاضر لم يعد بمثابة تهويش بل يلوح منه شبح الحرب ! .. نعم نحن قوم من أرباب الحرب والضرب إلا أننا ما زلنا في مستهل كتاب الحرب نقرأ في حرف الألف والباء أما الدول فقد أتموا كتب هذا العلم فلو بادرناهم بالحرب فإني أرى بصفة محققة أن الأساطيل لاخير منها على الإطلاق ، وستهلك أرواح الثلاثين أو الأربعين ألفا من الجنود الموجودة فيها [٤] "

وحفظاً لماء الوجه اقترح محمد علي توسط النمسا في الأمر حتى يمكن تسوية الموضوع بالشكل الذي يرضي السلطنة . ونظراً لرفض السلطان لأي مسعى سلمي ، وتشدده في معاقبة الثوار رأت الدولُ الأوروبيةُ أنه من الصعب حسمَ النزاع لصالح اليونانيين إلا بالإلتجاء إلى القوةِ لصالحِهم ، وأنه أصبح من واجب القواتِ البحريةِ المتحالفةِ أن تبدأ الإتصال بالثوار

---

[١] حول تفاصيل هذه المعركة أنظر عبد الرحمن زكى : مرجع سابق ، ص١٩٩-٢١١ .

[٢] محافظ بحر برا . محفظة رقم ١١ ترجمة القسمُ الخاصُ بالمورةِ من المكاتبة رقم ٤٦ بتاويخ ١٢ رجب ١٢٤٢ هـ .

[٣] نفس الوثيقة .

[٤] انظر وثيقة رقم (١٣) تحت عنوان مقترحات محمد علي للسلطنة بشأن قبول وساطة الدول الكبرى وانهاء الأزمة اليونانية سلمياً .

إتصالاً ودياً ، وأن تصادر كلّ الإمدادات التي ترسلها الدولة العثمانية عن طريق البحر لمحاربتهم .

وإلى جانب ذلك حاصرت أساطيلُ الدولِ المتحالفةِ قوات ابراهيم باشا ، وقامت بتحذيره من التقدم بقواتهِ أو خروج أسطوله إلى عرض البحر حتى لا يتم استخدام القوة ضده . وكان رد ابراهيم باشا على هذا التحذير أن مهمته لا تشمل السياسة وأن التفاوضَ يكونُ مع محمد على فى مصرَ أو مع السلطان فى الأستانة ، وحتى تصدرَ إليه التعليمات فى هذا الشأن فانه يتعهد بوقف جميع الأعمال الحربية التى تقوم بها قواته البرية والبحرية مؤقتاً بشرطِ توقفِ الثوار عن أعمالهم العدائيةِ [1] .

وخلال ذلك بدأ اليونانيون يتحينون الفرصة للإيقاع بإبراهيم باشا واستفزاز قواتهِ خاصة بعد أن وصلتهم الامدادات من أنحاء أوربا فقاموا بحركاتٍ عدائيةٍ فى خليج كورنثوس ، وحاصروا كريتَ ونجحوا فى إبادة حامية عثمانية مما أدى إلى تحرج مركز القوات المصرية فى باتراس patras (شمالى مورة) وجعلَ ابراهيم باشا يضطرُ إلى قطع حبل المهادنة ومطاردتهم ومن ثم أبحرَ إلى باتراس مع مجموعةٍ من السفن الحربيةِ مما عجلَ بوقوعِ الكارثةِ فقط اتهمه قادةُ الحلفاء بنقض الهدنةِ المتفق عليها ، وأرسل " كوردنجتون" قائد الأسطول الإنجليزى سفنه لتعقبِ السفن المصريةِ ، وتهديدها بالحربِ إذا لم ترجعْ من حيث أتت فاضطرت للعودةِ إلى نفارين . وعلى الرغم من ذلك فقد زحف إبراهيمْ باشا بقوةٍ من جندهِ داخلَ المورةِ لإنجاد الحاميات المصرية التى تطاول عليها الثوارُ مما دفع قوادُ الأساطيلِ المتحالفةِ إلى اتهامه بنقض الهدنةِ واتخذت من ذلك ذريعةً للتحرش بالبحريةِ المصرية العثمانية.

وكانت السفنُ المصريةُ والعثمانيةُ داخل الميناء فى ثلاثةِ صفوفٍ متوازيةٍ تقريبا كلُ فى شكلِ نصفِ دائرةٍ ، وكانت السفنُ الكبيرةُ والفرقاطات[2] فى الصف الأول ، ويليها سفنُ القرويت[3] ثم سفنُ الأبريق [4] وغيرها بعدها فى الصفِ الثالثِ . وكانت بنفارين استحكاماتٌ لتحمى مدخلَ الميناء كما وضعت بطارياتٍ من المدافع فى طرفِ جزيرة" أسفاختريا " مع مساعدةِ سفنٍ خفيفةٍ من الحراقاتِ [5] .

وخلالَ ذلك أرسلَ أميرَ البحر الفرنسى (رينى) إلى الضباطِ الفرنسيين العاملين فى الأسطولِ المصرى بترك أعمالهم والتخلى عن الخدمةِ فى الأسطول المصرى حتى لا يحاربوا فرنسيين مثلهم فلبوا الدعوة [6].

---

[1] حول المكاتباتِ عن هذا الموضوع انظر . أمين سامى : تقويم النيل جـ ٢ ص ٣٣٠ .

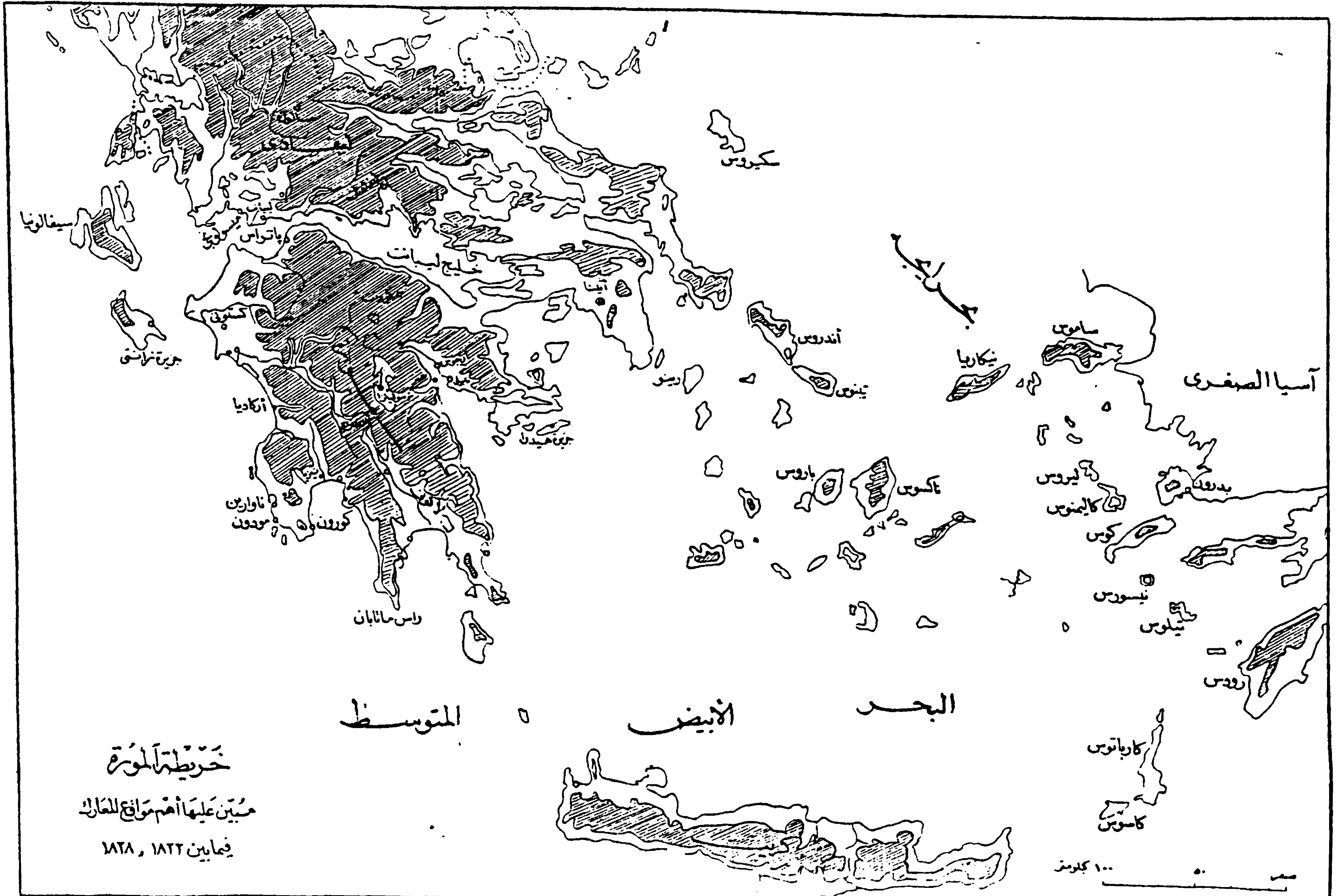
[2] الفرقاطة كانت تحملُ حوالى خمسمائة من الجنودِ ، و٦٤ مدفعا كبيراً وصغيراً .

[3] القرويت مركبٌ حربىٌ يحمل حوالى مائتين من الجنود أو مائتين ونيفا كما يحمل من اثنين وعشرين إلى خمسة وأربعين مدفعا صغيراً وكبيراً .

[4] الأبريق مركبٌ حربىٌ له صاريان ويحمل من الجنود حوالى مائة كما يحمل مائتين ١٦ و ١٨ مدفعا صغيراً انظر . عمر طوسون : صفحة من تاريخ مصر فى عهد محمد على ، الجيش المصرى البرى والبحرى طبعة ١٩٤٠ ص ٢٠٩

[5] الحراقات مراكبُ تشتعلُ فيها النيرانُ فتندفع وسط سفن الأعداء لتحرقها بنارها ، وذلك عن طريق توجيهها بواسطةِ دفع الريح لشراعها .

[6] عبد الرحمن زكى : مرجع سابق ص ٢١٨ .



خريطة المورة
مبين عليها أهم مواقع المعارك
فيما بين ١٨٢٢ و ١٨٢٨

وفى منتصف الساعة الثانية من ظهر العشرين من أكتوبر ١٨٢٧ اقتحمت القوات المتحالفة البوغازَ ، واصطفت وفقاً لنظام حربى على شكل نصف دائرةٍ تقريباً أمام الأسطول المصرى[١] والعثمانى وإقتربت منه حتى أصبحا وجهاً لوجهٍ ، وخلال ذلك انطلقت رصاصة من سفينة مصرية على بحارة إحدى السفن الإنجليزية مما كان ذريعةً لقيام سفن الحلفاء بإطلاق نيرانها فى منتصف الساعة الثالثة بعد ظهرالعشرين من أكتوبر ١٨٢٧ على الإسطول التركى المصرى ، وتجاوبت المدافع ، وعلا الدخان وتناثرت أشلاء القتلى فى مشهد رهيب ، وإستمر القتال حوالى ثلاث ساعات ، وإنتهى بتدمير الإسطول المصرى التركى فى مذبحةٍ مروعة ، وفقدان حوالى ٣٠ ألف جندى .

وعلى الرغم مما حدث فقد رفضت الآستانة أن تعترف بالهزيمة أو تذعن بأن تدمير أساطيلها يعنى إنهاء القتال[٢] بل طالبت بإتخاذ التدابير اللازمة لإستمرار القتال فى حين أخذ محمد على – الذى تألم كثيراً عند سماعه خبر تدمير قوة مصر البحرية الوليدة[٣] – أخذ يبحث عن وسيلة للخروج من هذا المأزق الخطير خاصة وأنه أخذ يشعرُ بالمخاطر التى يمكن أن تسببها له الدول الأوربية ، وكانت الوسيلة المثلى أمامه هى المفاوضاتُ وعقدُ الصلح مع الحلفاء وقد تم ذلك فى الثالث من أغسطس ١٨٢٨ والذى تم بمقتضاه جلاءُ قوات إبراهيم باشا عن شبه جزيرة المورة ، والتعهد بإعادة الأسرى اليونانيين ، وعدم إجبار اليونانيين المقيمين بمصر على مغادرتها فى نظير إعادة جميع الأسرى المصريين والسفن المصرية التى إستولى عليها الحلفاء فى الحرب[٤]

ونتيجة لذلك صدرت الأوامر للقوات المصرية بإخلاء المدن اليونانية والإستعداد للرحيل إلى مصر دون إنتظار لأوامر السلطان مما أحرج مركز الباب العالى ، واضطره فى النهاية إلى الإعتراف بالإستقلال الذاتى لبلاد اليونان[٥].

ومما سبق يتضح أنه على الرغم من خسارة مصر الفادحة فى هذه الحرب بعد ضياع الإسطول الذى إشترى محمد على وحداته من مختلف الممالك الأوبية ، فإن المكاسب السياسية كانت كبيرة فقد تفاوضت الدول الأوربية ولأول مرة مع محمد على دون وساطة الدولة العثمانية مما أكسب مصر منزلة سياسية أشبه ما يكون بالإستقلال الفعلى عن تركيا ، وإلى

---

[١] كانت وحدات الأسطول المصرى المتواجدةُ خلال المعركة إحدى وثلاثين قطعة تتألف من أربع فرقاطات، وعشر سفن من نوع القرويت ، وست سفن من نوع الإبريق ، وخمس من نوع الفولت ، وست حراقات هذا بالإضافة إلى النقالات الكبيرة .

محمد فؤاد شكرى وآخران : بناء دولة مصر محمد على – السياسة الداخلية ، القاهرة ، دار الفكر العربى ١٩٤٨ ص١٣٨ .

[٢] أمين سامى : مرجع سابق ج٢ ص٣٣١.

[٣] سجل رقم ٣١ معية تركى – صورة ترجمة الكتاب رقم ١٨ بتاريخ ١٣ ربيع آخر ١٢٤٣هـ من محمد على إلى محرم بك .

[٤] عن نص شروط هذا الإتفاق نظر :

Dodwell , H.L. The founder of Modern Egypt - A study of Muhammed Ali , Cambridge, 1931 p.22

وأيضاً إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار جـ ٢ ص ٢٤٠ – ٢٤١ .

[٥] عقدت الدول الأوربية معاهدة فى لندن عام ١٨٢٧ أجبرت فيها الباب العالى على الإعتراف بإستقلال اليونان الذاتى ، وفى عام ١٨٣١ استطاع الشعب اليونانى انتزاع استقلاله التام ونجح فى استخلاص حريته وأعطى بذلك مثلاً للشعوب لتى كانت تهدف إلى تحرير نفسها .

جانب ذلك فإن هذه الحرب كانت أول معركة يخوضها الجيش المصرى فى أوربا مما أكسبه تدريباً عملياً على خوض المعارك الحديثة .

ومع ذلك فإن تورط محمد على فى شئون أوربا السياسية قد أنهك موارده إلى حد كبير خاصة وأن ما أنفقه من الأموال الطائلة على بناء سفنه ، وفى شراء المؤن والذخائر التى تدفقت على المورة ، ثم إن ما جمعه من الرجال ودربّه من الجنود ، وبعث به إلى ميادين القتال كلُ هذا قد ذهب أدراج الرياح بين عشيةٍ وضحاها بعد أن عادَ جيشهُ من المورةِ وهو فى حالةِ عجزٍ وفقدانٍ للثقة وبؤسٍ شديدٍ[1] .

وعلى أى حالٍ فقد إشتدَ ضيق السلطانُ من محمد على لتفاوضه مع الدولِ الأوربيةِ دونَ اذنه ، وسحبه لقواته دونَ الرجوع إليه ، كما بدأ محمد على يراجع خطته تجاه الباب العالى الذى لم يكافئه على خدماته رغمَ تحطيم إسطوله مما جعله يفكر جدياً فى توسيع رقعة أملاكهِ على حساب الدولة العثمانيه وذلك بالإستيلاء على بلاد الشام.

[1] بعد عودة هؤلاء الجنودِ إلى مصر وهم فى حالة سيئةٍ رخصَ محمد على لبعضهم بالإقامة فى بلادهِ سنة أو أكثرَ من أجل إستعادة الثقة إلى نفوسهم ، ثم صدرت إليهم التعليمات بعد ذلك بالحضور إلى القاهرة وترتيبِ من يصلحُ منهم فى أورطة جديدة .
الوقائع المصرية العدد ١٩٦ فى ١٨ ربيع الآخر ١٢٤٦هـ (١٨٣٠) تحت عنوان حوادث الجهادية .

مصادر ومراجع الدراسة

أولا: الوثائق :.

- دفاتر وسجلات المعية التركي : دفتر ١٣ وسجل ٣١ .
- محافظ أبحاث : محفظة رقم ١١٤ (موضوعات متنوعة) .
- محافظ بحر برا : محفظة رقم ١١ (ترجمة القسم الخاص بالمورة) .

ثانيا : المصادر والمراجع :.

- إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار جـ ٢ ، القاهرة ، مطبعة بولاق ، ١٣١٤هـ .
- أمين سامي : تقويم النيل جـ ٢ القاهرة ، ١٩٢٨ .
- بيير كرابيتس : إبراهيم باشا – ترجمة محمد بدران – القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧.
- رينيه قطاوى : محمد على وأوربا – ترجمة ألفريد يلوز – القاهرة دار المعارف ١٩٥٢.
- عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد على ، القاهرة ، النهضة المصرية الطبعة الثالثة ١٩٥١.
- عبد الرحمن زكى : التاريخ الحربي لعصر محمد على ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٥٠.
- عبد المنعم الجميعي : اتجاهات الكتابة التاريخية فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر ، القاهرة ، عين للدراسات والنشر ١٩٩٤.
- عمر طوسون : صفحة من تاريخ مصر فى عهد محمد على ، الجيش المصري البرى والبحري ، القاهرة ، ١٩٤٠.
- محمد فؤاد شكري وآخران : بناء دولة مصر محمد على – السياسة الداخلية – القاهرة ، دار الفكر العربي ١٩٤٨.

ثالثا : الدوريات :.

الوقائع المصرية ربيع الآخر ١٢٤٦هـ (١٨٣٠م) .

ثانياً : الوثائق

وثيقه رقم (١)

موضوعها : تجهيز محمد على لاسطوله ، وارساله إلى المورة لتأديب الثائرين على الدولـه بناء على أوامر السلطان العثمانى

مصدرها : دفتر ٤ معية تركى ـ ترجمة المكاتبة التركيه رقم ٢٩٢

تاريخها : ٢٩ رمضان ١٢٣٦ هـ

من المعيه :

إلى ملجأ الصدارة .

حضرة سلطانى ومولاي صاحب الدولة والعناية والعطوفة والرأفة والأبهة ولي النعم العالي الهمم الكثير اللطف والكرم .

بينما كان عبدكم بمصر في شبرا وصل في يوم الثلاثاء الحادي عشر من شهر رمضان أمركم السامي الصادر بالشرف سابقا الأمر بتجهيز مقدار مناسب من سفن عبدكم وتعيين قائد عليها وارسالها تواً إلى جهة مورة [١] ، وافهام قائدها أن يعمل على بمقتضى الحال بالمخابرة مع علي بك قائد السفن الهمايونية الموجودة في حوالى ألبانيا " بلاد الأرنود " وإرسال سفينة أو سفينتين من السفن الصالحة للعمل أيضاً إلى الجزر فيما وراء رودس بناء على أن رعايا مورة قد عصوا بسبب ما دبره كفار الروم من الوساوس وما نصبوه من شراك الدسائس ، وسرى عصيانهم إلى مجاوريهم [٢] ، فأظهر الطغيان أيضا رعايا لواديه وصالة وآتنه فسدوا الطرق حتى أرسل حضرة والى الروم ايلى [٣] باشا إلى جانب موره عساكر كما يلزم وأذيعت أيضاً أوامر السبي والاسترقاق بموجب الرخصة الشرعية ، واقتضت المصلحة ابراز السطوة والجلادة للغاية نحو مورة ، وقد قام كفار جامليجه وصوليجه وابيصاره [٤] أيضاً ورفعوا رءوسهم . وحيث توجد عند هؤلاء المذكورين سفائن حربية فمن الملاحظ أن يتعرضوا لسفن

---

[١] إقليم المورة فى جنوب اليونان اقليم ثائر فائر ، جباله قاسية ، ومرتفعاته منيعة ، وشعبه مستميت.

[٢] يذكر الجبرتي أن ثوار المورة قطعوا الطريق على المسافرين واخذوا المراكب الخارجة من استامبول وفيها قاضي العسكر المتولي قضاء مصر وبعض الحجاج وقتلوهم عن آخرهم . انظر الجزء الرابع من عجائب الآثار في التراجم والاخبار ص٣٤١ تحت عنوان واستهل شهر ذى القعدة بيوم الأربعاء سنة ١٢٣٦ .

[٣] تعني ولايات الروم ، وهذا التعبير كان يطلق غالباً على الأراضي العثمانية الواقعة في شرق أوروبا .

[٤] كانت Psara تمثل مركزا هاما للقراصنه في غرب جزيرة خيوس chios .

التجار التي تطرق وتمر بها ، وللذخائر التي ترسل إلى الآستانة ، وللعساكر الذين ينقلون من الأناضول إلى الروم ايلي ، والقاضي أيضا بارسال الذخائر المعتاد ارسالها كل سنة من الأقاليم المصرية إلى الآستانة ، مع ضم مثلها عليها في هذه المرة لئلا تقع مقاسات ضائقة في الآستانة من جهة الذخائر بسبب ما حدث في افلاق وبغدان [١] من الفتن ، فعندما ازدانت يد التكريم بهذا الأمر الكريم ركبت بعد الإفطار في السفينة " فانجه" وأتت إلى الاسكندرية ليلة الخميس فجهزت ثلاث عشرة سفينة ببركات هممكم السامية في مدة أربعة عشر يوماً من اليوم الرابع عشر من شهر رمضان إلى اليوم الثامن والعشرين منه بمضاعفة السعي ليل نهار ، وقد اشتريت أربع سفن من تجار الافرنج وابتدر إلى تجهيزها وتهيئتها أيضا بعناية خاصة ووضعت فيها المدافع ورماة المدافع ، وعين عبدكم محمد أغا طبوزاده من رؤساء البوابين في الايوان العالي قائداً عليها فيرسل مع تلك السفن بمنه تعالى في اليوم العاشر من شوال بعد العيد إلى جهة رودس ، وتلحق السفينه الموجودة في الاسكندرية في الأسطول الهمايوني أيضاً بتلك السفن بوضع العساكر والمهمات فيها وحيث توجد في رودس وبدروم [٢] سفينتان لصهري عبدكم محرم بك وسفينة لعبدكم ، وسفينة أميرية أيضاً في رودس فيرسل إليها ما يكفي لهذه السفن الأربع من الأنفار وسائر المهمات وتلحق بتلك السفن ، وتعزز تلك السفن أيضا من ورائها بتجهيز ما يرد من الخارج من السفن من سفن عبدكم ، وسفن عبيدكم اتباعي الصالحة للعمل مع الإستمرار على إشتراء مقدار واف من السفن الواردة إلى الاسكندرية الموقوفة بها من تجار الافرنج وارسالها ايضاً بوضع العساكر والمهمات فيها على أن لحاق سفن عبدكم المرسلة ، واجتماعها مع سفن الاسطول الهمايوني وان كانا من الأمور المشكِلة ، بالنظر إلى ما بلغنا من سد أشقياء البحر المضايق بسفن كثيرة ، لكن من قبيل اللازم والملزوم للاجتماع تجول هذه السفن في تلك المياه ، وسعي مأمور الأسطول الهمايوني جهده في الورود فعليه تلزم مضاعفة قوة مأمور الأسطول الهمايوني وحمله إلى اجراء الارادة الملوكية في أقرب وقت ، وبعد اجتماع سفن عبدكم مع سفن الاسطول الهمايوني بعناية ربنا الفتاح ، واعانة جناب مرسل الرياح ، وسيرهما على سفن اشقياء البحر بالاتفاق وحصول التغلب عليهم ، وقهر الأشقياء المذكورين ، وتدميرهم وتيسير تطهير جهة البحر منهم بقوة حظ حضرة صاحب مالك ممالك العالم يكون من الأمر السهل الهين قهر الجزر المذكورة ، واستئصالها وبعد ذلك إلى أي جهة انتدبت السفن بالاتفاق سواء كان هذا الانتداب لجهة مورة أو لأي جهة أخرى يوصل من ورائها العساكر والأدوات اللازمة بوضعها في سفن التجار وارسالها على التعاقب وتستحصل اسباب غالبيتهم ، وقد استؤجرت بعد تفكير دقيق على سبيل التجربة سبع سفن من تجار الإنجليز لايصال الذخاير الى الاستانه في هذه الأيام ، وشحنت السفن المذكورة بخمسين الف "هكذا هنا " كيل من القمح وجهزت للارسال على أن تسلم للمخازن العامرة ، فبعد ارسال السفن المجهزة بيوم ترسل سفن الذخاير هذه ان شاء الله تعالى ، ولدى وصول خبر دخول الذخاير المذكورة بالسلامة من المضيق إلى الداخل ، وبلوغ هذا الخبر لصوب عبدكم بسرعة ترسل الذخاير إلى الاستانة على التعاقب ويكمل المقدار الذي هو مطلوب المقام العالي من الذخاير ، ويرسل على التعاقب أيضاً ما طلب من الذخاير التي تعرض للبيع بأثمانها الجارية

---

[١] يقصد ولايتي الافلاق والبغدان برومانيا .

[٢] صحتها بودروم وهي احدى المدن التركية الهامة التي تقع في أقصى جنوب تركيا ، وتقع إلى الشمال من جزيرة رودس بحوالي ١٠٠ كم .

بتجهيزها لتباع في الأستانة بأسعارها الجارية ، وحيث انه لاريب ولا اشتباه انى أبذل كل همتى ومكنتي لاجراء مضمون الأمر العالي وانفاذ الأمر والإرادة في جميع الأزمان ولاسيما في مثل هذا الأوان كما لاشك في أن الجهاد والعزوة فرض عين علينا فلا محالة أنه لايضن بالخدمة والسعي جهد الطاقة فوق وسعي من كل الجهات في سبيل الدين والمنة ، وفي سبيل دولتنا ومرضاة لمولانا وولي نعمتنا صاحب الشوكة والكرامة والمهابة السلطان ملجأ الاسلام ملك الملوك الذي من جنوده الملائكة الكرام . وقد ازدانت أيضاً يد التكريم بورود ما صدر محفوفا بالشرف سابقاً ولاحقاً في هذه المرة من نحو أمرين أو ثلاثة أوامر من أوامر ولى النعم السامية ، ووصلت أيضاً إلى عبدكم مكاتيبكم السامية الخديوية المحررة خطاباً لباشوات مقاطعات الجزائر وتونس وطرابلس الغرب ومراكزها العسكريه " وجاقات " وحيث كان ورودها عقب ارسالي رجالاً من رجالي إلى هؤلاء الباشوات بيوم تحريضاً لأهالي تلك البلاد على الجهاد والغزوة والمحاربة ضد اشقياء البحر قائلا لهم ان هذا الزمن انما هو زمن الخدمة للدين المبين ، وللدولة العلية الأبدية ، وزمن اكتساب حسن التوجه الخسروي من حضرة مولانا السلطان الحارس للدين ملك ملوك وجه الأرض صاحب الشوكة والكرامة ، فقد ارسلت هذه المكاتيب السامية الواردة من ولى النعم بعد يوم من يوم ورودها إلى الباشوات الموحى اليهم بحراً بانتداب رجل من اتباعي عبيدكم لذلك مع الاستعجال بشأن عودته بأجوبتها وقد صارت افادة ما ذكر باعثاً لعرض عبوديتي فالأمر والإرادة لدى حصول الشرف لنا بوصول هذه العريضة اليكم ، وإحاطة علمكم العالي الشامل للعالم بذلك ،

٢٩ رمضان ١٢٣٦

يستخلص من هذه الوثيقه ما يلي :

- ترحيب محمد علي بالأمر السلطاني الخاص بتجهيز سفنه للإشتراك في حرب المورة .
- تعرض الثوار اليونانيين والقراصنة لسفن التجار المسلمين .
- تجهيز محمد علي لثلاث عشرة سفينة وشرائه لأربع من السفن من التجار الافرنج وتجهيزها بالمدافع والرماة .
- العمل على قهر اشقياء البحر وتأديبهم .
- ارسال محمد علي الذخائر وشحنات القمح إلى الأستانة .
- طلب المعونة من ولاة الجزائر وتونس وطرابلس الغرب وتحريض اهالي هذه البلاد على الجهاد ومحاربة اشقياء البحر .

وثيقه رقم (٢)

موضوعها : رسالة من محمد على إلى السلطان العثمانى محمود خان بشأن ارسال سفنه للمساعده فى تأديب الثائرين ومساندة الأسطول العثمانى ضد مراكب اليونانيين
مصدرها : دفتر ٤ معية تركى ـ ترجمة المكاتبة التركية رقم ٢٨٨
تاريخها : ١٠ شوال ١٢٣٦ هـ

إلى الصدارة العليا

حضرة سلطانى ومولاى صاحب الدولة والعناية ، والعطوفة والرأفة ، والأبهة ولى النعم العالى الهمم الكثير اللطف والكرم .

سبق الانهاء فى عريضة عبدكم المقدمة إلى مقامكم العالى بتاريخ ٢٩ رمضان أنه ستجهز بهممكم السامية ثمانى عشرة سفينةمن سفن عبدكم الموجودة فى ميناء الأسكندرية ، ومن السفن المشتراه من تجار أوربا ، ويعين عبدكم محمد آغا[1] طبوزاده من رؤساء البوابين[2] بالديوان العالى قائداً عليها ويرسل بعد العيد إلى جهة رودس ، وحيث انه توجد سفينة من الأسطول فى الأسكندرية فستلحق تلك السفينة بعد شحنها بالمهمات والعساكر بتلك السفن ، كما انه توجد سفينتان لصهرى محرم بك [3] وسفينه لى فى رودس وبودروم[4] وسفينة أيضا من الأسطول الهمايوني[5] فى رودس وسترسل العساكر والمهمات إلى تلك السفن ، وتلحق بالسفائن السابقة الذكر أيضاً ، وانه قد نبه على عبدكم الموما إليه أن يتجول ويطوف فى تلك المياه ويسرع فى اللحاق بالأسطول الهمايونى ويسعى جهده بالاتفاق فى قهر أشقياء البحر وتدميرهم وانه ستعزز تلك السفائن من ورائها بترتيب وتجهيز سفن من سفن عبدكم ، ومن السفن التي اشتريها من أتباعي ومن تجار أوروبا ، وبارسالها وبعد أن تجتمع السفن المذكورة من سفن الأسطول الهمايوني ، وبعد أن تتم مهمة قهر أشقياء البحر وتدميرهم فالى أي اتجاه سيرت تلك السفن ، وبأية مهمة أمرت يرسل اليها من ورائها العساكر البرية ، وسائر المهمات بسفن التجار ، وكان أشير أيضا في تلك العريضة إلى أنه قد استؤجرت سبع سفن من تجار

---

[1] آغا تعنى رئيس أو سيد .
[2] عنوان رتبة خاصة تعني الحاجب ، وقد كلف بقيادة هذه السفن ، وضمها إلى الأسطول العثماني ، والعمل على تخليصه من الحصار المفروض عليه من الثوار اليونانيين .
[3] هو محرم بك الأميرال صهر محمد علي ، وكان حاكما للجيزة ثم عين محافظا للاسكندرية ، فقائدا للأسطول المصرى الذي ذهب لأرخبيل اليونان لمطاردة الثوار ، واشترك في حرب المورة .
دار الوثائق : محافظ ابحاث ، محفظة ١١٤ ، موضوعات متنوعة
وقد كلفه محمد علي بقيادة السفن الحربية والاقلاع بها لتأديب الثوار اليونانيين . انظر الأمر التركي المترجم بتاريخ ٢٤ رمضان ١٢٣٦هـ .
[4] ميناء علي شاطئ الاناضول .
[5] كلمة همايوني فارسية الأصل ومعناها اللغوي مبارك ، أو مقدس ، أو حسن الحظ .

الانجليز لإيصال الذخائر إلى الأستانة العلية ، وحمل عليها تسعة وسبعون ألف كيل ومائتا كيل من القمح فأصبحت جاهزة للإرسال على أن تسلم للمخازن العامرة فها هي بحمد الله تعالى قد أرسلت السفائن المذكورة إلى جهة رودس في اليوم الحادي[1] عشر من شوال المكرم الجاري بهواء لطيف وريح موافقة ، وأوصى القائد المومى إليه أن يلتحق بالأسطول الهمايوني في أقرب وقت ، وأن يتحد ويتفق مع مأموري السلطان الهمايوني ، وأن يبرزوا مآثر الحمية والغيرة في قهر أشقياء البحر واستئصالهم ، وفهم تلك الوصايا ، وبلغ اليه أيضاً انه إذا تعذر المرور بسبب قفل المضايق ، وتعذر اللحاق بالأسطول الهمايوني لايقيم في مكان ما عاطلاً بل يبقى ناشرا للقلوع ومادا أنظار التبصر إلى الأطراف ، ويهاجم سفن الأشقياء إذا صادفها مستعيناً بالله غير مكترث بقلتها أو كثرتها ، وينزل العساكر في الجزر العاصية ويضربها ما وجد إلى ذلك سبيلاً "

ومن المعلوم انه إذا ضبط سرب أو سربان من سفن الأشقياء المذكورين ، ووقعت الإغارة على جزيرة أو جزيرتين منها أسراً وقتلاً لأهلها ينعكس طالعهم ، ويستولي الرعب والخوف على قلوبهم وتتشتت جماعاتهم وتزداد عساكر المسلمين شوقاً وغيرة ، وتمتلئ قلوب الموحدين قوة وسكينة ...

---

[1] كذا في الأصل المترجم ، ولعل صحتها عاشر شوال كما يظهر من تاريخ المكاتبة .

يستخلص من هذه الوثيقة ما يلي :

١ ـ استجابة محمد علي لطلب السلطان بارسال اسطوله للمساعده على تأديب الثوار اليونانيين وتخليص الأسطول العثماني الذي أضحى كالأسير في أرخبيل اليونان .

٢ ـ ارساله اسطولا يتكون من ١٨ سفينة تحت قيادة محمد أغا طبوزاده للإلتحاق بالأسطول العثماني .

٣ ـ اصدار اوامره الى صهره محرم بك بالتحرك لمساندة الأسطول العثماني المحاصر وتعزيزه بالمهمات والذخائر .

٤ ـ استئجار بعض سفن التجار الانجليز لايصال الذخائر المطلوبة والقمح إلى الأستانة ورودس .

٥ ـ استعمال الشدة مع أشقياء البحر ، والعمل على قهرهم حتى ترتفع الروح المعنوية لدى المقاتلين المسلمين.

وثيقة رقم (٣)

موضوعها : نصائح محمد علي إلى رجال أسطوله عند التحاقهم بالأسطول العثمانى .
مصدرها : دفتر ٧ معية تركي ـ ترجمة المكاتبة التركية رقم ٢٨٤
تاريخها : ٢٩ شوال ١٢٣٦ هـ

من الجناب العالي إلى باشبوغ الأسطول المصري قد حررتم وذكرتم انه ورد من حضرة باشبوغ الأسطول الهمايوني خطاب إلى قاضي رودس يقول فيه . اننا على وشك الذهاب إلى بروزه [١] لاستجلاب الأسطول الموجود في جهة مورة فبالنظر إلى لزوم استصحابنا بمعيتنا الأسطول المصري أيضاً تتبهون الأسطول المصري على الاستعداد والتأهب إن كان ورد إلى رودس ، وتعدون أيضاً خمسة عشر رائدا يعرفون مياه مورة ، وتفيدوننا عن أنهم جاهزون وأن الأسطول المصري ورد إلى رودس حتى نأتي ، ونستصحب الأسطول المصري ، ونسير إلى جهة مأموريتنا . وانكم حررتم جواب خطاب المومى إليه المرسل سابقاً في مضيق سيام وارسلتموه مع الجاويش الذي ورد إلى طرف القاضي المومى اليه ثم عقدتم مجلس المشورة مع اسماعيل قبودان [٢] وأحمد بك وحررتم : أنه قد تقررت نتيجة مذاكرتكم على أن يجاوب عن هذا الطلب بأن يقال ان مولانا لما بلغه تسلط الأشقياء على السفن المترددة إلى هذه المياه ، وعلى البلاد الإسلامية الكائنة في هذه السواحل جهز السفن التي نركبها على قدر ما تيسر ، وأعطى المؤن والازوواد اللازمة لمدة شهر فقط لمن فيها من العساكر ، وأمرنا بالمسارعة إلى رودس ، والوصول إليها في أقرب دقيقة قائلا لنا إني أقوم بتجهيز السفن الموجودة في هذا الطرف ، وأواصل إرسال المهمات والمؤن اللازمة لكم من ورائكم ، وان لم يكن عندكم الآن إقتدار المقاومة لسفن الأشقياء فعلى هذا يستوجب مسيرنا بهذه الحالة إلى مسافة بعيدة أنواع الصعوبة وعليه إذا سرتم أنتم إلى الصوب المقصود واذنتم لنا في العودة إلى الاسكندرية ، ونعود إلى الاسكندرية ونستصحب السفن المجهزة ونتم لوازمنا السفرية ومصروفاتنا ومئونتنا وأزوادنا ، ونلحقكم من ورائكم وبهذه الصورة قطعتم الكلام .
وقد علمت مآل مكاتبتكم المذكورة ومفاهيم سائر الأوراق ، وكانت خلاصة إفادتنا لكم "عند مسيركم" أنه إذا لم يخرج الأسطول الهمايوني ، ولم يمكن اجتيازكم من المضايق ولا التحاقكم بالاسطول الهمايوني تقومون بضرب جزيرة قشوت لئلا يكون سعيكم عبثا وتتجولون أياما ثم تعودون ، واما إذا خرج الأسطول الهمايوني ، وتيسر التحاقكم به تتابعون موظفي الاسطول وتسيرون معهم إلى أي جهة ساروا ولاتتعدون الطراز الرسمي في أثناء محادثتكم معهم ، ولا تتكلمون بكلمة أزيد من ذلك ولاأنقص ، وعند مرور سفن أو جاقات الغرب يحملونهم على فتح الأعلام لهم " تحية عسكرية " واما انكم فلا تتكلموا بشئ ، ولا تقولوا لماذا لم يفتح لنا الاعلام .
هكذا كنت أفدت لثلاثتكم كرارا ومرارا ونبهتكم عليها ، وكان المقصود مجرد الذهاب مع الأسطول والقيام بخدمته ، وقد نسيتم بالمرة أقوالي المتعلقة بمتابعتكم لموظفي الأسطول ويظهر

---

[١] حاصر اليونانيون الاسطول العثماني بتلك الجهة ، وكان يقوده القبطان نصوح زاده .
[٢] تذكره بعض المصادر باسم اسماعيل جبل طارق .

أنكم أخذتم ترغبون في الإستراحة والهرب من التعب ، وكان الواجب عليكم حينما دعاكم موظفو الأسطول الهمايوني إلى معيتهم أن تلبوا دعوتهم ، وتقولوا لهم نحن حاضرون متهينون ومع ذلك كتبتم جواب التوقف معتذرين بأعذار حتى أعددتم جوابكم الهذياني المذكور آنفاً عندما علمتم ورود الأسطول الهمايوني الى استانكوى وأنه يرد إلى رودس . وإنما كان يصح مثل جوابكم هذا . إذا كان الأسطول الهمايوني لم يخرج أو بقي في الدردنيل " جناق قلعة " أو في محل آخر ولزم انتظاركم مدة شهرين أو ثلاثة أشهر ويعد ذلك نوع عذر وأما اعدادكم مثل هذا الجواب الهذياني حين خروج الأسطول الهمايوني ومجيئه إلى استانكوى ورودس ووجوب متابعتكم لموظفيه على وفق أمرنا وتنبيهنا وذهابكم معهم حيثما ذهبوا فلا يكون إلا من كمال حماقتكم ، وحيث أن ماساتي أنواع الأتعاب بالسعي ليل نهار وارسالي إياكم بكل سرعة اينما كانت لأجل التحاقكم عاجلاً بالسطول الهمايوني اطلب منكم طلبا باتا أن تلتحقوا من غير توقف بالاسطول الهمايوني على طبق تنبيهي السابق وأن تتابعوا موظفيه ، وان تذهبوا معهم حيثما ذهبوا وعليه حررنا مكاتبتنا الخاصة هذه تنبيها وتأكيدا ، وارسلناها مع أحمد أغا رئيس موظفى الدخان لدينا فيلزم أن تبادروا إلى العمل على الوجه المحرر ، وأن تتحاشوا من تجويز خلافه المستوجب للمسئولية .

يستخلص من هذه الوثيقة ما يلي :

- ضرورة استعداد رجال الاسطول وتأهبهم لأى مخاطر محتملة .
- تفكير محمد علي فى اصطحاب الاسطول المصري إلى المعركة .
- اللحاق بالأسطول العثماني السير معه ، وتلبية أوامره .

وثيقة رقم (٤)

موضوع الوثيقة : ترجمة الأمر رقم ١٨ بشأن انضمام الأسطول المصرى للأسطول التركى في حرب المورة
تاريخها : ٢٧ محرم ١٢٣٧
مصدرها : المعية السنية ، دفتر ١٠ معية تركى

أمر كريم إلى : العزيز المكرم ابراهيم باشا

لقد انضم الأسطول المصرى قبل مدة إلى الأسطول السلطانى وأبحر للعمل ضد أروام المورة الذين عمدوا إلى العصيان وأعمال الشقاوة .
ولما كان قد اتصل بالأسطول السلطانى المصرى ان هنالك نحو ٦٠ سفينة من سفن الأشقياء قد تجمعت فى ميناء فلافسيدى الكائن فى خليج لينه نجتى فقد سارت عليها السفن الصغيرة فى الأسطول السلطانى برفقة الأسطول المصرى تحت قيادة طبوزاده ، ولما أن بلغ هذا الأسطول تلك الجهة وكان الأسطول المصرى إذ ذاك يقل قوات من العساكر البرية خرجت هذه القوات إلى البر وسرعان ما اتصل بالمخابرة مع يوسف باشا البروزلى الذى كان يرابط بعساكره فى تلك النواحى ومن ثم اتحدت القوات وزحفت على بلدتى وتيجه وفلافسيدى واستولت عليهما بعد قتال وغنمت ما كان فيهما من مال ومتاع وأحرقت منازلهما . وقد تم الأستيلاء كذلك على على ٤٠ سفينة من سفن الأشقياء الرابضة فى ميناء فلافسيدى وأحرقت ٢٠ سفينة .

يستخلص من هذه الوثيقة ما يلي :
- انضمام الاسطول المصري إلى الأسطول العثماني والعمل معاً ضد الثوار .
- الإستيلاء على بعض سفن الثوار ومهاجمة معاقلهم .

وثيقة رقم (٥)

موضوعها : أمر كريم : إلى : الربان اسماعيل [1] " الشهير بجبل اقطار " القائد العام للأسطول المصرى .

مصدرها : دفتر (١٠) معية تركى ـ ترجمة الأمر رقم ٣٧٢ ورقة ٧٣

تاريخها : غرة محرم ١٢٣٨ هـ

تسلمنا كتبكم الواردة أخيراً واطلعنا على جميع اشعاراتكم فيها . قلتم فى أحد هذه الكتب انكم تأملون فتح المورة وتنتظرون ذهاب الاسطول السلطانى إلى المضيق " البوغاز" بل توغله فى الداخل وتحدثتم عن قلة مؤنكم وضرورة اعطائكم بعض النقود محسوباً على مرتبات البحارة والقواسين وقد تفضل أخونا حضرة صاحب الدولة الباشا أمير البحر فأرسل كتاباً قال فيه : ان فتح المورة أصبح قاب قوسين وانه يمكث هناك إلى أن يتم هذا الأمر الخيرى .

أيها الربان اسماعيل : سواء بقى الأسطول السلطانى هناك في تلك المياه أو توجه إلى المضيق فواجبك حسن الخدمة والعمل على نيل الرضا ، وإذا أتاك كتابى هذا يجب أن تبلغ سلامنا إلى ربابنة سفننا وبحارتنا وقواسيها وتفهمهم اننا نطلب منهم اتقان العمل وحسن الخدمة واننا كنا نقلنا لهم المؤن والمعدات والأموال على ظهور الجمال في أرض الحجاز ولم نجعلهم يعانون هناك أي ضيق والآن فحيث أن كل شئ ينقل على السفن فيمكن ارسال كل ما يحتاجون اليه بوسائط اكثر سهولة من ذي قبل ، وأنت أيها الربان يجب أن تهتم بحسن إدارة هذه السفن وتعنى بأحوال البحارة والقواسين عناية تثبت انك " جبل اقطار " حقاً وأما إذا أهملت فى واجبك أو سلكت طريق التعلل والأعذار فيجب أن تعلم جيداً أننى أرسل عليك صيحة " يوك " المنبئة عن الإزدراء وأملى إنك لا تضطرنى لذلك وانك تتفرغ للبحث عن الوسائل التى تكسبك ملايين الاعجاب والتقدير بدلاً من الإزدراء والتحقير وخلاصة القول اننى لانساكم ولاأدعكم تقاسون ضيقاً فى شئ ما ، هذا بديهى كما انى أدعو لكم بالتوفيق واعطف عليكم من كل قلبى واذا علمتم ذلك فيجب عليكم المبادرة إلى العمل وفقاً لاشعارى والافادة بين الفينة والفينة بما يجب اشعاره ،،،

يستخلص من هذه الوثيقة ما يلي :

- ضرورة قيام قائد الاسطول المصرى بحسن الخدمة والاجتهاد واتقان العمل سواء شارك الاسطول التركى في القتال أو قاتل وحده .
- العمل على امداده بالمؤن والمعدات الخاصه بالمعارك .
- ضرورة الاهتمام بأمور البحاره والقواسين .

---

[1] يقصد اسماعيل جبل طارق .
وكان قائدا للأسطول الذي ذهب لأول مرة إلى مياه رودس لمطاردة الثوار هناك ، ثم اشترك مع محرم بك صهر محمد علي فى حرب المورة .
دار الوثائق ـــ محافظ ابحاث ، موضوعات متنوعة محفظة ١١٤

وثيقه رقم (٦)

موضوعها : ترتيب المؤن لحملة المورة
مصدرها : دفتر ١٣ معية تركى
تاريخها : غرة رجب ١٢٣٩

من محمد على
إلى : جناب الصدر الأعظم

حضرة سيدى صاحب الدولة والعناية والعطوفة والرأفة والأبهة ولى النعم عالى الهمم كثير اللطف والكرم

حيث أنه جرى فى هذه السنة العميمة الميمنة ترتيب وزراء ومأمورين وعساكر كثيرة لأجل الهجوم على أطرافها أيضا برا بفرق متعددة واستعدادات قويه ، والسعى فى التغلب على عصاة الكفرة ، والاقدام على ذلك بالاتحاد ، وبلغ عدد المأمورين والعساكر المرتبين إلى عدد يتراوح بين الخمسين ألفا والستين ألفا على أن يتجمعوا عقب يوم أول الربيع كما انه اقتضى المبادرة الى وسيلة تدارك المؤن أيضا بصورة مستوفيه لكيلا يحصل أى خلل أثناء العمل من عدم وجودها غير أنه بالنظر إلى تعسر مداركة الذخائر الوفيرة من جهة الروملى[1] المصابة بالمحن والارزاء منذ مدة لهذا العدد الكبير من العساكر ، وتعذر توصيلها إلى هناك، من محلات اخرى ترتيب مؤن مختلفة الأنواع من جهة مصر بمقدار خمسمائة ألف كيل استانبولى ، وتعلقت الارادة السنيه بخصوص ترتيبها سريعاً ، وارسالها إلى مورة بحراً بتحميلها فى السفن فى أول الربيع بمنه تعالى على أن يكون اكثرها بكسماطا ودقيقا وما عداه شعير وفول ، وعلى أن لايخل ذلك بتقديم المدد والمعونة لكريد ثم أصدر بهذا الخصوص أمر عال مرشح أعلاه بالخطوط السلطانية ، وارسل مع عبدكم صاحب السعادة محمد نجيب افندى[2] من رجال الدولة العلية ، والناظر الحالى لدار البارود العامرة ، ووكيلى لدى الباب العالى على أن يبلغنى الخصوصات اللازمة شفهيا ، وان نيل العساكر المسوقة إلى كريد فى الأول والآخر الغلبة والنصر ، وحسن اجتهادى أوجبا كمال المسرة الملكية وحصل التفضل بالعناية والاحسان بثوب سمور مزركش سلطانى مستوجب السرور ، وسيف ملكى مرصع مدمر العدو وأرسل كذلك مع وكيلى المومى اليه فقد استقبل بموكب عند وصوله إلى أطراف مصر ، ووروده إلى جوار باب النصر ، وتقبل بخطوات التعظيم والتبجيل عند قدومه الى محل الديوان واتمت مراسيم محاسن التكريم والتبجيل ، وجعلت الفروة المذكورة زينة لكشف الافتخار ، والسيف الذى ربط فى الوسط رمزا للغيرة والاقدام ثم صار الدعاء لدوام وتأييد عمر وشوكة حضرة الخليفة زينة للألسنه القرينة الاخلاص والثناء لقوام وتأييد شأن وسلطنة السلطان واصلا إلى السماء العالية . فالمولى خالق الأرض والسماء يجعل عمر وشوكة ولى نعمتنا وافندينا صاحب الشوكة والمهابة

---

[1] صحتها الروم أيلى وتعنى ولايات الروم وشاعت كتابتها خطأ الروميللى لأنهما كلمتان .
[2] نجيب افندى : مندوب السلطان الذى حضر إلى مصر ليسلم محمد على فرمان الولاية على المورة .

والكرامة سلطان العالم وملك الزمان بحيث لانهاية لهما ، ويجعله ممنونا وسعيدا بنيل معالى النصر والظفر والفتوحات ومظلل الأمن والأمان لمفارق الملك والملة بظل عاطفته السلطانية ثم يجعل ذاتكم الولية النعم العالية مسرورة ومحبورة فى ايوان صدور الأوامر وعينا لامعة للزمان والأيام فى محفظة خاتم الدولة والاقبال آمين . هذا وقد حررت عريضه عبدكم ، وقدمت إلى عتبة إجلالكم بالخضوع والابتهال بخصوص التماس توجه ولى النعم السامى ، وفى سياق اظهار الشكر والممنونية والافادة عن المائة الف أردب الغلال المصرية التى صدر الفرمان بشأنها سيجر ترتيبها وتحميلها فى السفن ، وارسالها إلى مورة وإلى المحلات الأخرى التى فيها المأمورون بالمخابرة ثم أن الوصايا السنيه والتنبيهات السلطانية التى أودعت فى حافظة الافندى المومى اليه صارت حلية لمسامع تيقنى وانتباهى واحدة فواحدة فستنفذ بكمال المطاوعة مع ايفاد لوازم العبودية كما أن أمر ولى النعم السامى الشامل كل كيفية وخصوص بهذا الشأن ، والمشتمل على أنواع المحاسن والتوجه الذى ارسل مع عبدكم الأفندى المومى اليه صار زينه ليد التعظيم ، وكل خصوص أصبح معلوما بذهن عبدكم الوسيم الاخلاص على نحو ما بسط فيه وذلك بمطالعته مرة أخرى ، وقد جعل انفاذه فرضا على عهده العبودية وانه أرسل الأمران إلى متصرفى الجزائر وتونس برا مع الهجان فلدى الوصول ان شاء الله تعالى ، واحاطة علمكم العالى بأن عبدكم ليس له أمل سوى الخدمة والغيره فى سبيل الدين والدولة العلية ، وان هذه الخدمة ستجرى بكمال الممنونية ، ويحصل الاعتناء فى انفاذ واجراء مقتضى الأمر السلطانى ، والتنبيهات الملكية المقرونة بالكرامة . فان الأمر والفرقان بخصوص التفضل باسداء توجهات وتعطفات ولى النعم للعبد .

يستخلص من هذه الوثيقه ما يلى :

- الاستعداد لمهاجمة المورة برا وبحرا .
- ترتيب المنونه المطلوبة للقوات المحاربة من مصر بمقدار خمسمائة الف كيل استانبولى وتحميلها على السفن .
- تنفيذ التوجيهات السلطانية بشأن تحميل السفن بالامدادات المتجهة إلى المورة .
- ارسال الأوامر السلطانية إلى متصرفى الجزائر وتونس برا .

وثيقة رقم (٧)

موضوعها : رغبة محمد على فى توحيد القيادة العليا للاسطول ، ووضعها فى يد ابنه ابراهيم.
مصدرهـا : دفتر ١٣ معية تركى ـ ترجمة المكاتبه التركية رقم ٢٢١ ص ١٠٤
تـاريخـها : غرة رجب ١٢٣٩ هـ (١٨٢٤م)

من محمد على باشا
إلى الصدر الأعظم

حضرة سيدى صاحب الدولة والعناية والعطوفة والرأفة والأبهـة ولـى النعم عـالى الهمم كثير العطف والكرم

صدرت أخيرا الارادة القاطعـة السلطانية بمـأموريتى علـى المـورة وانتـدب لابلاغهـا ايـاى عبدكم صاحب السـعادة نجيب افنـدى [1] "القبوكتخدا" ثـم لـدى وروده أصبحـت مضـامين ومزايـا الأوامر العاليه والمكاتبات السنيه التى يحملها معلومة للعبد ، ونقشت التنبيهات السنيه السلطانية المودعة فى حافظة على لوح الخـاطر من تقريـره الشـفهى ، ولعلـى بـأن القيـام دائمـا بحسـن الخدمة وبمصلحة الدين والدولة موجب للفخر ، ومؤد لسعادة الدنيا والآخرة . وبالنظر إلى أنـى عبد للدولة العلية متواضع ومحسوب للسلطنة السنية نشأ بنعمها قد بعثت إحالة مصلحة المـورة إلى عبدكم أنواع المسرة والفخار ، وبما أنه لايوجد أى نقص في خصوص المهمات والعسـاكر والمؤن فى ظل الحضرة السلطانية فان شاء الله تعالى سأرسـل عبدكـم صـاحب السـعادة ولـدى ابراهيم باشا باستعدادات قوية ، وعساكر كثيرة ، وجعله ينسق هذه المصلحة بحسن توجه ولـى النعم ، غير أنه لما كان توحيد الكلمة ، واعطاء النفوذ والاستقلال للمشار اليه فـى مهمتـه مثـل هذه المهمة من مقتضى الحال فان التفضل بالاحسان إلى سعادته برتبة القيـادة العليـا للأسـطول السلطانى الذى سيرسل بالمقدار المخرج فى السنة السابقة وتفويضه ما يقتضى لتصفيـة وتطـهير جزيرة المورة وجزر البحر المتوسط إلى سعادته بالاستقلال على ألا تحصل مداخله من طـرف المأمورين الآخرين فى مسألة الجزر المذكورة بوجه من الوجـوه ثـم توجيـه ايالـه المـورة الآن إلى عبدكم المشار اليه على أن توجه إلى الذى يراد من طرف الدولة العلية بعد اقتران المسـألة بالختام ، وتدارك خيول وبغال بمقـدار يـتراوح بيـن ثلاثـة آلاف وأربعـة آلاف مـن الروملـلى ، وتهيئتها بميناء بره وزه [2] لجلبها إلى المورة واستخدامها فى خصوص نقل المـؤن والمهمـات على أن تعطى قيمتها أو أجرتها من طرف عبدكم هو من رجاء المحسوب لكم كما أن حصـول

---

[1] مندوب السلطان الذى جاء إلى مصر ليسلم محمد على فرمان الولاية على المورة .
[2] صحتها بروزه ، وكان الأسطول العثمانى محصورا فى تلك الجهة .

مساعدة ولى النعم السنية بذلك هو من ملتمس العبد ، وان الخصوص اللازم والمقتضى أدرج فى عريضة عبدكم نجيب افندى وعليه فان الافادة بما ذكر أوجبت عرض عبوديتى فان شاء الله لدى حصول العلم لولى النعم فان الأمر والفرمان بخصوص التفضل بابداء مساعدتكم الخديوية، واسداد اسعافاتكم البهية من مسئوليات العبد .

يستخلص من هذه الوثيقه ما يلى :

- صدور الأمر السلطانى بالحاق ادارة المورة إلى محمد على .
- رغبة محمد على فى إلحاق القيادة العليا للأسطول السلطانى لابنه ابراهيم ، وتوجيه ايالة المورة اليه أيضا .

وثيقة رقم (٨)

موضوعها : تكليف ابراهيم باشا باستئصال شأفة ثوار المورة وتأخره فى أداء مهمته حتى تكتمل الاستعدادات اللازمة لذلك .
مصدرها : ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٦ محافظ بحر برا ـ محفظة رقم (٩)
تاريخها : ٥ رمضان ١٢٣٩ هـ

مكاتبة بختم محمد على
سيدى صاحب الدولة والعناية والعاطفة والأبهة ولى النعم عظيم الجود والهمم .
لقد تلقيت أمركم الكريم الذى تفضلتم واشرتم فيه إلى أن الحضرة العلية السلطانية على الرغم مما بذلته من الجهود في سبيل انهاء أمر المورة منبع فساد الأمة اليونانية لم يتيسر حتى الآن معالجة هذه الحالة الأمر الذى كان له وقعه المؤلم عند جلالة السلطان . إن جلالته قد قابل رغبتى الصادقه فى القيام بهذه المهمة بالرضاء السامى حيث وجهت إلى عبدكم الوزير المكرم نجلى سعادة ابراهيم باشا والى جدة القيادة العليا للأسطول المصرى السلطانى وولاية المورة ليدير شئونهما برأيه المستقل كما عهد إلى سعادته بتطهير بعض الجزر من الأشقياء وقد عين فى معيته ـ عدا السفن الحربية العشرة إلى أوفدت إلى الاسكندرية بقيادة البطرونة همايون[1] ـ السفن الحربية العشرة فى مياه باليه بادره بقيادة خليل بك الجشمه لى ـ وصدر الأمر الكريم الى خليل بك بذلك ، واجيبت ملتمساتى الأخرى التى كان من المستطاع اسعافى بها ، وقد تفضلتم ونوهتم كذلك بأن سعيد أنور أفندى قد قام إلى هنا ايحمل لسعادة نجلى المرسوم الصادر " بالتوجيه " وانتدابه لهذه المهمة ثم طلبتم أن يقوم نجلى الباشا المشار إليه بمن فى معيته من العساكر والمهمات والعتاد فى أقرب وقت ، وأن يسعى السعى الحثيث لانهاء أمر المورة وجزيرتى جامليجة وصوليجة . ولقد تلقيت كذلك الأوامر العلية التى نوهتم عنها ووقفت على مضمونها الكريم أدام الله حضرة صاحب الشوكة والقدرة ولى نعمتنا ، ومولانا السلطان وأبقاه مدى الدهر على أريكة ملكه متمتعا بصفاء البال واستقرار الحال ، وخذل الله أعداء الخلافة والدين والدولة ، ومناهم بالتشتت والاضمحلال آمين . ان جلالة مولانا السلطان ليعلم أننى العبد الذى وقف نفسه لخدمة الدولة العلية الأبدية الدوام والسلطنة السنية السرمدية القيام ، والذى لايضن بالنفس والنفيس فى سبيل الدولة العلية . وان الارادة السلطانية التى تشرفت بتلقيها والقاضية بإحالة أمر معالجة هذا الخطب الجسيم على نجلى لما تستوجب الفخر العظيم لهذا السعيد بين الأقران ، وتشع فى نفسى السرور والحبور ولقد رفعت أكف الضراعة إلى الله المرة بعد المرة بدوام بقاء جلالته . ان نجلى المشار اليه ومن فى معيته من العساكر والمهمات والذخائر على استعداد للحركة على نحو ما بيّنه أخيرا عطوفة نجيب أفندى قبوكتخدا غير أن

---
[1] يقصد القائد العثمانى البطرونه مختار بك .

السفن السلطانية التى ستصل إلى هنا بقيادة خليل بك لم يظهر لها أى أثر بعد وهى بعد وصولها إلى هنا لابد من التريث مدة من الزمن لاكمال نواقصها وترميم النواحى التى تحتاج إلى الترميم فيها ثم أن السفن التى تقرر إبحارها إلى هنا من موانى بر الشام لم تصل كذلك ، ولا أدرى ماذا تم بصددها ، وكذلك السفن المتأمنة التى ستصل من الآستانة وعليها صهاريج الماء لم ندر عنها أى شئ حتى الآن ومن أجل هذه الأسباب تأخر قيام نجلنا إلى ما بعد العيد ، وسيتحرك من هنا فى اليوم الثانى أو الثالث من العيد ان شاء الله تعالى .. هذا وانى لأرجو أن يبذل لنجلنا عطف ولى النعم الجزيل الكثير البركات ـ الذى هو أشد مضاء من الاكسير ـ حتى ينال النصر وتلاقى خدماته الرضاء السامى السلطانى وأخيرا أقرر أننى لاأستطيع أن أفى هذه التعطفات السنية حقها من الشكران والأمر والإرادة لحضرة صاحب الدولة والعناية والعاطفة والأبهة ولى النعم عظيم الجود الهمم سلطانى

ختم
محمد على

يستخلص من هذه الوثيقة ما يلى :

- عدم تمكن السلطان العثمانى من السيطرة على زمام الموقف فى المورة .
- تكليف ابراهيم باشا بتعقب الثوار .
- عدم وصول الامدادات العثمانية من السفن والموانى فى الوقت المقرر لها ، وتأخر ابراهيم باشا من التحرك بقواته حتى تكتمل الاستعدادات .

وثيقة رقم (٩)

موضوعها : نجاح القوات المصرية فى تأديب عصاة أهل جزيرة فاشون وتمزيق شملهم وأسر بعض سفنهم .
مصدرها : دفتر رقم ١٤ صادر المعية وثيقة رقم ٤٢٦ صفحة ١١٥
تاريخها : ٢١ شوال ١٢٣٩ هـ

من الجناب العالى (محمد على باشا) الى الصدر الأعظم (فى الأستانة)

كنت عرضت فى كتابى الذى قدمته لأعتابكم العالية قبلا أن قيام ولدى عبدكم صاحب العاطفة ابراهيم باشا والى المورة وسر عسكر[1] الأسطول المصرى السلطانى من هذا الطرف (مصر) متوقف على ورود فناطيس الماء ، وعلى ورود السفن السلطانية التى هى تحت قيادة خليل بك الجشمة لى من ياورة (بلد فى المورة) ولكننا فى هذه الأونة أرسلنا مقدارا كافيا من عسكر وسفن لتأديب عصاة أهل جزيرة فاشون وتوقيفهم عند حدهم فأرسل لنا عبدكم حسين بك[2] القائد العام للعسكر المرسل إلى تلك الجزيرة هذا الكتاب الوارد أخيرا المقدم لاعتابكم الأصفية وفيه توصيل ما حدث للعصاة المذكورين الذين لم يقدروا أن يثبتوا أمام عسكر الإسلام الذين مزقوا شملهم وفرقوا جمعهم كما أن من بقى منهم فروا نحو الجبال متشبثين باذيال طلب الاستئمان راجين امدادهم بمدد الأمان ، فاعطى لهم الأمان بشرط الاستئمان . ولما لم يكن شك ولا شبهة بأن هذه المأثرة الجليلة ستكون مقدمة لفتوحات عظيمة بعون الله عز وجل وبركة أنفاس حضرة السلطان الأعظم وبمن توجيهات حضرة ولى النعم (الصدر) قد جسرنا على كتابة هذا الكتاب وعرضه مبشرين بما هو الواقع وقد غنمنا مما هو تحت أيدى اولئك العصاة المناحيس خمس عشرة سفينة من طراز بريك وغولت وفرقاطة . وقد كان من لازم الذمة ذمة الرق والعبودية أن نرسلها إلى ميناء الترسانة العامرة (فى الآستانة) ولكن ابقيناها بقصد استخدامها فى خدمة نقل المهمات والذخائر العائدة للعسكر الذين سيذهبون بمعية عبدكم ولدى صاحب العاطفة ابراهيم باشا ولتكون برفقة السفن الاسلامية التى ستستولى بحول الله تعالى وقوته على سفن عصاة جزيرتى جامليجه وصوليجة وبما انه لم ترد الآذان التى قطعت اثناء هذه الوقعه . وفى الحرب التى قامت قبلا فى جزيرة كريد كما عرضنا تفصيلاتها على اعتابكم العالية فمتى وردت فاننا سنرسلها لتطرح على تراب الذلة والصغار وتكون محل العظة والاعتبار وقد ورد نحو ثلث الفناطيس المطلوبة التى هى سبب الالزم الأعظم فى قيام عبدكم ابراهيم باشا المشار اليه ، ولم يظهر خبر عن الثلثين الباقيين وجاء أيضا عبدكم خليل بك (الجشمه لى) هذا ومع أنه من الممكن اخراج عبدكم المشار إليه وارساله فى الحال بدون

---

[1] القائد الأعلى للقوات .

[2] احد قادة محمد على الذى استطاع اخضاع ثوار كريت ، واسقاط أقوى معاقلهم فى سفاكيا .

النظر إلى عدم الانتهاء من ترميم السفن السلطانية التى هى بمعية خليل بك إلا أن عدم ورود بقية الفناطيس اقتضى ترقب ورودها لشدة الحاجة اليها وها نحن بانتظارها حتى هذا الوقت ، ومتى ما وردت عن قريب فاننا سنبادر إلى ارساله من غير توقف ولا إبطاء .

هذا ما دعا إلى كتابة عريضة العبودية وتقديمها لاعتاب دولتكم .

يستخلص من هذه الوثيقة :

- استعمال محمد على لفناطيس المياه لشدة الحاجة اليها .
- تأديب عصاة أهل جزيرة فاشون ، وفرارهم إلى الجبال والاستيلاء على ما تحت أيديهم من سفن .

وثيقة رقم (١٠)

موضوعها : محاولة اشقياء البحر الزحف على قلعة أغريبوز وهزيمتهم
مصدرها : محفظة رقم ٩ بحر برا ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٩
تاريخها : ٢١ ذى القعدة ١٢٣٩ هـ

(من عبده حسين)

حضرة صاحب الدولة والعناية والمرحمة والأبهة ولى نعمتى

إن قذائف البنادق التى صرفت لجنود آغريبوز من حملة السيوف وسواهم قد ظهر عند اطلاقها أن رصاصها غير جيد حيث أن المسافة التى قطعتها هذه المقذوفات كانت قصيرة المدى ، ولما أنهى أمرها إلى الباشا قائد البحار .. (قبودان باشا) طير خبرها بدوره إلى الباب العالى وقد ظهرت خيانة اليهودى الـ "قورشونجى باشى " (رئيس مصلحة الرصاص) المكلف برؤية أمور المهمات وقد جئ به إلى كتخدا الصدر الأعظم ، واستعلم عن الموضوع من نظار المهمات السابقين واللاحقين فكانوا جميعهم يلقون مغبة هذا العمل على اليهودى المذكور الذى تقرراعتقاله توطنه لاعدامه غير أن هذا الاعدام قد ابدل أخيرا بالنفى . وختم بالشمع على منزله والمنزل الآخر الساحلى .

لما أن شاهد صاحب الدولة الوزير المكرم عمر باشا محافظ قلعة أغريبوز أن أشقياء البحر يحاولون الزحف على القلعة المذكورة ، ويقيمون الاستحكامات حول جهاتها الأربعة انقض عليهم بعساكره ، واشتبك معهم فى قتال وإذ ذاك شاهد الاشقياء الكفار أن العساكر من حملة السيوف أيضا قد خرجوا من القلعة من خلفهم فخارت عزيمتهم ، وسرعان ما انتقلوا إلى مراكبهم وولوا الأدبار ، وعلى أثر ذلك ركب الباشا ومن فى معيته من العساكر فى المراكب وطافوا حول الجزيرة وأخذوا يتعقبون الاشقياء الذين خرجوا إلى جزيرة خالية من السكان ، ولما كان الباشا قد صمم على قتال الكفار فقد خرج اليهم وأمعن فيهم تقتيلا حتى قضى عليهم جميعهم وقد بعث حضرته إلى هنا بأذان الأشقياء التى صلمت فكان عددها ٢٠٠-زوجا فوضعت فى المكان المخصص لعرضها على الناس وقد علم أخيرا ان الباشا المومأ اليه قد دخل وعساكره اثينا حيث عسكر فى البساتين القائمة هناك وقد استشهد الكثير من العساكر إبان القتال . وقد أجيب مصطفى باشا الأشقودره لى إلى ملتمسه بناء على الأعذار التى قدمها ، وإن مصطفى باشا والى الروم ايلى قد تحرك من "بنى شهر" ونزل فى مكان يبعد مسافة ساعة ، وهو على وشك القيام إلى مقر مهمته وانه قد فهم من أخبار والى الروم ايلى التى وصلت الى حضرته انه سيزحف إلى الأمام من ثلاث جهات ، وبتاريخ ١١ من شهر ذى القعده الحالى وصل السعاة بالتوالى يحملون بشرى انتصار دولة الباشا قائد البحار ودخوله ابيصاره ، بتوفيق الله وبمن الحضرة السلطانية . وقد فرح أهل الاسلام لهذه البشرى وكان جلالة السلطان إذ ذاك قد خرج للتنزه فى غابة السرو القائمة بجوار قوله لى فلم يطل المقام بجلالته هناك لشدة

سروره وعاد إلى سراى بشكطاشى حيث انعم على كل ساع ممن حملوا هذه البشرى بفردة قيمتها ١٢٠٠قرش ثم ٣٠٠٠قرش نقداً ، كما أنعم على كل من كتخدا الصدر العالى ورئيس الكتاب (ناظر الخارجية) وأمناء الترسانة ب ٥٠٠ قرش وخلعه فالحمد لله ثم الحمد لله فنحن بينما كنا ننتظر فى قلق أخبار القتال إذ بمهردار الباشا المشار اليه يصل إلينا على عجل ويعلن أن الباشا قد طوق الموانى التى يعتمد عليها الكفار وأخرج اليها ٨ آلاف ونيف من عساكر أزمير ، والأرنوط والعساكر حملة السيوف ' وال قليج ' من الغزاة الذين انقضوا على الكفار بينما ظل هو فى الاسطول الرابض تجاه هذه الموانى يدير دفة القتال من البحر وقد دام القتال من البر والبحر مدة ٣٦ ساعة دون انقطاع قتل فى خلالها ارنوط لأن الذين تحصنوا فى الأديرة وأحرقت الجبه خانة التى كانت موجودة فى الأديرة وجعل الكفار طعمة للنار ، واستولى على ١١٠ من السفن الكبيرة والصغيرة وعلى أكثر من ١٠٠ مدفع ، وقطعت رقاب ١٠ من الزعماء، كما قطعت رقاب ٦٠٠ من الكفار الآخرين ، وأسر أكثر من ٥٠٠ من الكفار ، وصلم اكثر من ١٢٠٠ من آذانهم كما استولى على ٣٦ علما من اعلامهم وعلى غير ذلك من الآلات الحربية وقد عرضت جميعها للناس عبرة للسائرين . وفى اليوم التالى أنعم الباب العالى على القبوجوقدار بفروة من السمور الفاخر كما أنعم على المهردار الموما اليه باقطاع ايراده السنوى ٢٥٠٠ قرش و ٥٠٠٠ قرش اعطيها نقدا ، وانعم على كل تابع من اتباعه بمبلغ ٢٠٠٠ قرش . وقد ذكر المهردار أن بلاسلى زاده والبكباشى أحمد بك ، وقائد أزمير وكثير من الرؤساء قد جرحوا ، وأن الذين جرحوا واستشهدوا كثيرين وفوه بما ابداه الميرميران كور ابراهيم باشا (الأعمى) من الشجاعة الفائقة على الرغم من اضطرابه من حالة عينه واثنى عليه كثيرا هذا وفى نحو الساعة السابعة من ليلة الثانى عشر من الشهر المذكور شب حريق هائل فى الفرن المتصل بخان بالطه جيلر الكائن بطريق تنحه قلعة فالتهمت النيران درب طومريق القائم تجاه الفرن ، والجهات الأخرى الكائنة حوله ، وقد هدم نصف خان بارطال باشا ، وناحية المطبخ من منزل المرحوم جلبى افندى للحيلوله دون سراية النار إلى نواحى أخرى وفى اليوم التالى شبت النار فى جهة سلاملك الأغوات فى القصر الساحلى الكائن بـ " دفتر داريرونى " الخاص بالسلطانه خديجة وقد احترق نصف القصر ، واحترق بداخله أربعة من الخفراء ...

فى ٢١ ذى القعدة ١٢٣٩

ختم

حسين عبده

يستخلص من هذه الوثيقة ما يلى :

- اتهام اليهودى المكلف بتزويد القوات بقذائف البنادق بالخيانة لعدم صلاحية الرصاص الذى سلمه للجنود .
- محاولة أشقياء البحر الزحف على قلعة أغريبوز وهزيمتهم .
- ارسال ٢٠٠ زوج من آذان الثوار المقطوعة إلى الآستانة لعرضها على الناس هناك .
- وصول بشرى الانتصار إلى السلطان وانعامه على حاملى البشرى بالهدايا .

وثيقة رقم (١١)

موضوعها : محاولات الدول الأوروبية التدخل فى المسألة اليونانية .
مصدرهـا : محفظة ١١ بحر برا ـ ترجمة القسم الخاص بالمورة من المكاتبة رقم ٤٦ .
تاريخـها : ١٢ رجب ١٢٤٢ هـ

من مجهول إلى المعية

لقد عقد ايمبراطورو انجلترا والنمسا وروسيا وفرنسا وبروسيا مؤتمرا تداولوا فيه الرأى ثم وضعوا القرار التالى كنتيجة لرأيهم الفاسد وهذا نصه :

حيث أن الدولة العثمانية لم تعن طيلة هذه السنين بأمر كبح جماح رعاياها الذين حملوا لواء العصيان ، ولم تأخذ خلال هذه المدة بأسباب الاصلاح ، وتوطيد الأمن فى البر والبحر ، وحيث أنه يلوح من بعض الأدلة أن هذه الدولة لن تعمد الى التفكير فى مثل هذه الأمور بعد الآن أيضا . وحيث أن هذه الحالة واضطراب حبل الأمن فى البحر الأبيض تضطر كل دولة من دولنا لأن تبقى فى هذا البحر ٨ أو ١٠ من سفنها لتتولى المحافظة على مصالح التجار من رعاياها وفى هذا ما فيه من النفقات الطائلة التى تتحملها خزائن دولنا بدون فائدة ، وحيث أن شعب الروم كان قديما الدولة اليونانية التى تغلبت عليها الدولة العثمانية ، وقطعت أوصالها مع الأيام وأخرجتها من مصاف الدول وأدمجتها فى صفوف رعاياها ، وقد تغلب هذا الشعب الآن على الترك وأخذ يطالب بحقه فى تصرفه بملكه ، وحيث أنه مما لاجدال فيه أن هذا الشعب على حق فى طلبه بحيث يجب أن يتخلص من وضعه الحالى توطئة لاعادة حقوقه اليه فانه يجدر بنا والحالة هذه أن نتوسط لهذا الشعب لدى الدولة العثمانية فى منحه استقلاله واعادة الملكية اليه وان نحملها على أن توافق على ذلك .

وبعد مضى ثلاثة أو أربعة أيام على تاريخ هذا القرار الفاسد عاد ايمبراطور النمسا ، وقال ان هذه المسئلة من المسائل الداخلية فى الدولة العثمانية وليس فى الأصول المتبعة أن يتدخل الغير فى معالجتها فان لكل دولة منا رعايا فاذا ما أوجب الأمر أن تتدخل الدول فى حل المشاكل الداخلية التى تظهر فى أية دولة فان الحالة تسوء إذ ذاك ، وهذا ليس من المنطق فى شئ ، ولذا فإنى سحبت كلامى ، ورجعت عن رأيى الأول . غير أن ملوك هذه الدول لم يأخذوا بهذا الرأى ، وقالوا ان النمسا دولة ضعيفة بالنسبة لنا وذهبوا إلى أن رجوع ملك النمسا عن الرأى المتفق عليه بهذه السرعة ، ومن غير ما اكتراث قد يكون مما أوحت به السياسة الروسية ولذا فانهم قد ظلوا متمسكين بقرارهم الأول . وقد أدركت الدولة العلية ان جميع هذه الدول ستصر على أن العصاة كانوا قديما الدولة اليونانية ، وتطالب بلسان واحد بوجوب انهاء الحرب واقرار السلم والأمن ، وقد اتصل أحد هؤلاء الملوك بوزراء الدولة العلية ، بصورة سرية وقال لهم : ان الدول ستطلب موافقة الدولة العلية على أن يكون لليونان حكومة ملكية ، ولما كان ليس ثمة أى محذور فى عدم اجابة هذا الطلب إذ أن الدول لاتقدم على عمل أى شئ فى حالة الرفض فان الأمر يقضى برفضه فى الحال . وعلى أثر ذلك قرر الوزراء العظام أن يكون الرد على هذا الطلب السخيف ان معالجة أمر الرعايا العصاة من حقوق الدولة العلية فالحرب القائمة حرب داخلية ولذا فان تدخل الأجانب فى مثل هذه الشئون يعد بالنسبة للعلاقات الدولية وضع فى غير محله . وفعلا عمد سفير انجلترا فى بادئ الأمر إلى تقديم تقرير فى هذا

المعنى . أما الروسيا فقد قررت عدم تدخلها فى هذه المسئلة وفقا لما جـاء فـى معـاهدة اقرمـان التى اعتبرت مسئلة عصاة الروم من المسائل الداخلية فى الدولة العثمانية على انه وان كان من الظاهر أن الروسيا سوف لاتتدخل فى هذه المسئلة تدخلا جديا إلا أنها من قبيل اغفال الانجلـيز ومماشاتهم المصطنعة قد ارسلت هى الأخرى تقريرها المماثل لتقرير الانجليز ، غـير أن الـرد على كل حال سيكون الرفض حسبما قرره الوزراء إذ أن هذه المسئلة من المسائل الداخلية التى لايجوز للغير أن يتدخل فيها .

يستخلص من هذه الوثيقة ما يلى :

- استنجاد ثوار اليونـان بـدول أوربـا وتـداول اباطرة وملـوك انجلـترا والنمسـا وروسـيا وفرنسا وبروسيا فى الأمر واتهامهم للدولة العثمانية بأنها لم تـأخذ بيد الاصـلاح فـى هذه البلاد مما عرض مصالحهم للخطر .
- محاولة بعض الدول الأوروبية اقناع الدولة العثمانية بمنح اليونانيين استقلالهم .
- تردد النمسا فى الأمر بحجة عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدولة العثمانية واصـرار باقى الدول على اعطاء اليونان الاستقلال .
- رفض الدولة العثمانية للوساطة الأوروبية على اعتبار أن تمرد ثوار اليونان ومواجهـة الدولة لهم من المسائل الداخلية التى لايجوز للغير التدخل فيها .

وثيقة رقم (١٢)

موضوعها : احتياج قوات ابراهيم باشا الى بعض المواد الغذائية ، وامداد محمد على لهذه القوات بما يلزمها .
مصدرها : دفتر (٢) عابدين ورقة ٢٢ نمرة ١١٠ .
تاريخها : غرة رمضان ١٢٤٢ هـ

من الجناب العالى
إلى صاحب الدولة ابراهيم باشا

قلتم فى كتابكم الذى تفضلتم بارساله أخيرا إلى والدكم أن ازمة المؤن التى يعانيها الجيوش المنصورة التى فى قيادتكم قد بلغ أقصى حدها وانكم إذا كنتم قد اشعرتم قبلا بمقدار ما عندكم من المؤن مبينة فى قائمة غير أنه نظرا لعدم ورود المؤن من الجزر كما كانت ترد فى السنة السابقة فينظر وقوع ضيق على انكم فى ضيق من جهة النقود بصفة خاصة وانكم ارسلتم قائمة بينتم فيها المؤن الموجودة عندكم .

وقد علمنا ما جاء فى كتابكم ، وبما أنه يؤخذ من القائمة المرسلة أن هناك حاجة إلى الملح والسمن والدقيق من أنواع المؤن فقد كتبنا إلى بلال أغا[1] أن يُعدّ مؤنا تكفى لثلاثة اشهر ويحمّلها سفننا المسلحة نصف تسليح ويرسلها إلى طرفكم فعندما تصل هذه السفن إلى طرفكم تفرغون ما فيها من المؤن بسرعة وتعيدون السفن الينا وتكتفون بهذا القدر إلى أن يصل الاسطول الجديد هذا ما نطلبه منكم . وقد قررنا أن نرسل مرتبات سنة واحدة لكيلا تعانوا مضايقة من جهة النقود ، وإذا لم يكن اكمال مرتبات سنة واحدة إلى أن يقم الاسطول فلابد من ارسال مرتبات ثمانية أشهر .. واخيرا نطلب اليكم مرة أخرى سرعة تفريغ السفن التى ستصل اليكم محملة بالمؤن وإعادتها إلى هنا وانا قد انتهز هذه الفرصة للسؤال عن سعادتكم إذا وصل كتابنا باذن الله تعالى واحطتم علما بما فيه فمأمولنا العمل على النحو المحرر فيه .

---

[1] كتخدا الاميرال محرم بك .

يستخلص من هذه الوثيقة ما يلى :

- معاناة قوات ابراهيم باشا فى بلاد المورة من نقص فى المواد الغذائية وقيام محمد على بامداد هذه القوات بما يلزمها لمدة ثلاثة اشهر ، هذا إلى جانب ارساله مرتبات الجنود لمدة سنة .

وثيقة رقم (١٣)

موضوعها : مقترحات محمد على للسلطنة بشأن قبول وساطة الدول الكبرى وانهاء الأزمة اليونانية سلميا .
مصدرها : دفتر رقم ٢ عابدين ـ ترجمة المكاتبة التركية رقم ٣٢٢
تاريخها : ١٧ ربيع الأول ١٢٤٣ هـ

من الجناب العالى
إلى : مولانا الصدر الأعظم

إن أوامر دولتكم الواردة إلىّ أولاً وآخرا وعيت مضامينها ، ووقفت على مزاياها حرفيا . فعبدكم هذا هو عبد خالص يبذل الروح فداء ، وأنى اعتبر شخصى مكلفا بتنفيذ الارادات الملكية فى كل مادة ، لاسيما فى مسألة المورة هذه . وبما أنى على يقين من أن الواجب يفرض علىّ أن اعنى بتسخير المورة ، وتأديب أشقياء الروم وقهرهم ، واستخلاص جامليجه وصوليجه من أيدى الأشقياء وتطهير تلك الأرجاء من ادران الأروام اللئام ، فان كل أفكارى التى تساورنى ليلا ونهارا منصرفة إلى حال الاسطول ، وإلى أحوال المكلفين به ، وليس لدىّ ما يشغل بالى بحسب المأمورية غير هذه المسألة .

لقد علمت مما فصلتموه فى أمركم الداورى أن الدول قد اتفقت وان اساطيلهم وشيك وصولها ، وعززتها الأنباء التى ترامت إلىّ من الخارج ، إلا أنه لم يصيبنى أدنى فتور من ذلك بفضل استظلالى بظلال الحضرة الملوكية ذات المكرمات ، ولم اسمح لهمتى بالتقاعس أبدا فى أداء الخدمات التى تقتضيها هذه المصلحة الخيرية وأومل أن أبقى ثابتا على العهد من بعد الآن ، وعلى ما أنا عليه ، وأن أظل دائبا موفور السعى طالما كانت الروح فى الجسد ، والجسد قوى بالروح ، وأن أقدم على اداء ما يفرضه علىّ الواجب والله ولى التوفيق ..

ولما كان ليس من الجائز أن يكون اجتماع المتضامنين [١] فى حكومة واحدة أحرارا فقد رأيت أن الاجابة العالية القاطعة المبلغة إلى سفراء الدول التى تقول بحرية الاروام موافقة بالنسبة للدولة والملك والملة . وأن دولتكم بايرادكم هذا الرد قد رفعتم من شأن الدولة العلية ، ووفيتم واجبات السلطنة السنية . وبما انكم قطعتم القول على ذلك فان هذا العبد الخاضع لسالك هذا المسلك ومتتبع أثركم . فلما بذلت كل قواى لأداء الخدمات الدينية المحالة على عهدتى وتجهيز عبدكم محرم بك محافظ الاسكندرية ، وقائد الاسطول المصرى العام للسفر مقتفيا اثر الاسطول الهمانى ، استدعيته مرارا وطلبت منه بلهجة التأكيد أن يأخذ كفايته من الماء من الشاطئ المقابل (الاناضول) وألا يتمهل بل يعمل على الوصول إلى المورة بأقصى سرعة حتى إذا ما تقابل مع نجلى عبدكم ابراهيم باشا عُنى باعداد ما يحتاج اليه هنالك منها فى وقت قصير ، وقام بكامل قوته بعد اكمال نواقصه متوجها نحو جامليجه مباشرة لمحاصرتها وان

---
[١] لعله يقصد المحكومين .

يضع يده عليها بدون تمهل . ثم زودت البك القبودانه (أميرال درجة ثالثة ـ قائد الأسطول الهمايونى) بمثل هذه الوصايا ، وشرحت له كل ما يختص بمأموريته . والمأمول ألا يهملا هذه الوصايا بل يعملا على تنفيذها باذلين قصاراهما .

وبما أنكم تفضلتم بإرسال صورة من أمركم العالى إلى عبدكم نجلنا الباشا المشار إليه فلا بد أن يكون على علم بما حوته من الوصايا السنية ، والتنبيهات العلية وحيث أن عبدكم البك القبودانه وعبدكم محرم بك وما فى معيتهما من سفن الأسطول هنالك ، فلا شك فى أن نجلنا يتولى ابلاغهما وما يحتويه الأمر العالى من التعليمات ويعمل من جانبه على ايفاء ما تقتضيه مأموريته . بيد أن هذه المسألة ، مسألة خطيرة وعظيمة جدا ، ولذلك أقضى ليلى ونهارى فى قلق ومع أنى كنت قبل ورود أمركم السامى الآنف الذكر أيضا أجيب اجابات بكل شجاعة على الأنباء التى تترامى إلىّ عن هذا الموضوع ممن يفدون علينا من أوروبا ويذهبون اليها ، ولولا انى كنت كلما أفكر فى صحة هذه الأنباء ساورنى القلق والألم والكدر ، كما أن خلاصات الأوامر الكريمة التى وردت إلى منكم مرتين ، ضاعفت كدرى وغمى . ولقد اقتضى الأمر أن اكتب لاعتابكم الكريمة فى معرض الرد ، لكنى لم أجرؤ على التحرير لأنى فقدت المقدرة على التحرير قائلا ان هذا الموضوع هو على هذا الشكل أو غيره ، وفضلت التحرير إلى القبوكتخدا بصفة سرية وبصورة عرض للحالة مشيرا إلى بعض مالاح بفكرى بحسب قصر عقلى ، ثم عدلت عن ذلك أيضا ولم أجسر على ارسال ما كتبت ، وبقيت فى حيرة من أمرى !.. وإذا وردت أخيراً إلىّ بعض الرسائل من لدن عبدكم ابراهيم باشا ، وسارعت فى ارسال الرسالة التى وردت إلىّمن ابراهيم باشا إلى أعتاب دولتكم ، وإلى ارسال المكاتبة السابق تحريرها إلى عبدكم قبوكتخدانا والتى لم أجرؤ على ارسالها أولا إليه ، وستعلمون كل بعد الاطلاع على رسالة ابراهيم باشا ، وعلى المكاتبة المرسلة منا إلى القبو كتخدا

سيدى ! ماذا أقول ؟ ... وماذا استطيع ان اقول ؟ ... ان عمل الدول فى الوقت الحاضر لم يعد بمثابة تهويش بل يلوح منه شبح الحرب ! .. نعم نحن قوم من ارباب الحرب والضرب، إلا أننا مازلنا فى مستهل كتاب الحرب نقرأ فى حرف الألف والباء . أما الدول فقد اتموا كتب هذا العلم فلو بادرناهم بالحرب فانى أرى بصفة محققه ـ بحسب ما يمليه على عقلى القاصر ان الاساطيل لاخير منها على الاطلاق ، وستهلاك أرواح الثلاثين أو الأربعين ألفاً من الجنود الموجودة فيها . ولن تنتهى الحرب من بعد ذلك إذ يقفون حجر عثرة فى سبيل القوة فى سبيل القوة الجديدة التى ستعطى للدولة العلية ، ويمنعون وصول الجنود المنظمة .. وبناء على ما تقدم كتبت إلى عبدكم ابراهيم باشا بالتريث لحين ورود أمر كريم آخر من لدن ولى النعم فان كنتم تفكرون فى اختيار أهون الشرور فى هذا الخطب الجسيم تحسنون صنعاً وتكونون قد قمتم بما تفرضه واجب النظر فى عواقب الأمور .. وحبذا لو عنيتم فى الوقت الحاضر بالمذاكرة مع دولة النمسا التى يؤمل منها الصداقة منذ القديم أو مع دولة أخرى يعتمد عليها ، وتوسيطها وافراغ الموضوع فى قالب آخر حتى إذا ما عمدت الدولة العلية فيما بعد فى تقوية شئونها ، وتنظيم مصالحها تتوسل بوسائل أخذ الثأر والانتقام

هذا ما عَنّ بى من الملاحظات ، وفى الواقع لا أجد فى نفسى اللياقة لحل الأمور العظيمة وعقدها إذ لا بد أن يكون وزراء الدولة العلية أعرف بروح الشئون وأقدر على استخراج النتائج . ورأيى ما هو لا من قبيل الاخطار يميله علىّ اخلاصى وصداقتى، والرأى الأعلى لمولانا فما أنا إلا عبد أوامره ، والمفروض علىّ أن أعمل وفقا لما يصدر من دولتكم

بمقتضى اخلاصى . ورأى هذا العاجز انما هو عرض . وعلى كل حال فالأمر والفرمان لحضرة من له الأمر ،

يستخلص من هذه الوثيقة ما يلى :

ـــ اعلان محمد على خالص عبوديته وطاعته للسلطنه واستمراره على العهد

ـــ عرضه للحالة الحربية بشكل واضح وتخوفه من تدخل اساطيل انجلترا وفرنسا وروسيا فى المعارك لصالح الثوار

ـــ اقتراحه بضرورة الموافقة على مؤتمر لندن الخاص بمنح بلاد اليونان استقلالاً اداريا فى ظل السيادة العثمانية وابلاغ ابراهيم باشا بذلك للسير بمقتضى هذه التعليمات .

ـــ التحذير من خطورة مواجهة الدول الكبرى فى البحر خشية ضياع الاساطيل والجنود وضرورة التبصر بعواقب هذه الأمور .

ـــ اقتراحه بامكانية وساطة النمسا فى هذا الموضوع حفظاً لماء الوجه .

وثيقة رقـم (١٤)

موضوعها : تدخل انجلترا وفرنسا وروسيا إلى جانب الثوار
مصدرها : محفظة ١٢ بحر برا ـ ترجمة المكاتبة التركية رقم ١٨ بتاريخ ١٧ ربيع الثانى ١٢٤٣ هـ

مـــن الـصـــدر الأعـظـــم
أخى حضرة صاحب السعادة والمكرمة والمودة

لقد تفضلتم وذكرتم فى خطابكم الكريم المرسل إلينا قبل مدة أنكم عندمـا أردتم ارسـال السفن على الجزر من ميناء أنا وارين ، حالت السفن الروسية والأنجليزية والفرنسية دون ذلك ، وطلبتم موافاتكم بالادارة السنية التى تصدر فى هذا الشأن . وقد بعثنا اليكم إذ ذاك الـرد الذى نرجو أن يكون قد وصل إليكم حتى الآن ووقفتم على مضمونـه . انـه لمن الجلى أن استمرار اضطرابات الأورام حتى الآن يرجع إلى تدخل الأفرنـج ومـا يمدونهم بـه من مساعدات خفية ومكشوفه صب عليهم الله الف نوع من انواع البلاء وجازاهم بما يستحقون من مصـائب فبينما كنا نعمل على ما فيه صالح الدولة العلية ، ونترقب فى نفس الوقت وصول أخباركم ، اتصل بنا من مصادر أوربية آتية من أزمير انه فى غرة شهر ربيع الثانى دخلت إلى ميناء انا وارين بغتة سفن الأسطول الانجليزى والفرنسى والروسى ، بعد أن ظهرت بمظهر الصديق ، وسرعان ما حملت على السفن الاسلامية الرابضة فى الميـنـاء وراحـت تقذفهـا بنيرانهـا حتى منـى الطرفـان بخسائر فادحة ، وعلى أثر ذلك كتبنا إلى سعادتكم والى سعادة والى الروم ايلى ، ومحافظى اينه بختى ، وباليه بادرة نطلب موافاتنا بحقيقة الحادث ، وإلـى الآن لـم نتلـق الـرد علـى ان سفراء الدول السالفة الذكر بالاستانة قد أيدوا وقوع هذه المعركة ، وعليه فان الحرب قد أصبحت بادية العلامة . وإذا كانت الحرب لم تعلن رسمياً من قبل الدولة العلية فان بلوغ الأمر إلـى هـذا الحد من شأنه أن يجعل الجهاد فرض عين على كل مسلم . ولذا فقد أخذنا نبذل قصارى الجهد ، ليلا ونهارا فى سبيل تقوية مراكزنا واستكمال نواقصنا الحربية . ان اقدام هـذه الـدول علـى توجيه مثل هذه الأهانة إلينا سيكون من العوامل التى ستساعد على اندحارها وخزلانهـا ... ان الحـرب وان تكن لم تعلن بعد من قبـل الدولـة العليـة إلا ان الوضـع الحـالى يجعل الحـرب كانهـا قائمـة بالفعل ونحن إذا كنا لم نقف حتى الأن على حقيقة حادثة اناورين فان تأييد سفـراء الـدول لخـبر هذه الحادثة لمما يعزز وقوع الحرب ولذا نلاحظ ان تموين قوات سعادتكم ابان وجودكـم داخـل مناطق المورة سيكون بعد الآن من الصعوبـة بمكـان ، وعليـه إذا مـا تحقق لـدى سعادتكم انـه يتعذر عليكم بعد اليوم أن تظلوا ومن معكم من القوات داخل بلاد المـورة فـان الأولـى فـى هـذه الحالة ان تسحبوا العساكر المرابطة فى طرابوليجه وتأتو بهم إلى قـلاع متـون وقـرون ليقومـوا على حراستها على ان توفروا لهم ماهم فى حاجة إليه مـن المنونـه والمهمـات الموجـودة لديكـم لمدة سـنة وان تقـودوا استحكامات القـلاع ، وتقومـوا بعد ذلـك بمـن فـى معيتكـم مـن العسـاكر المنصورة إلى بالى بادرة ، ومنها إلى خليـج اينـه بختـى بطريـق الساحل ، وإذا أمكـن قوضـوا

واحرقوا النواحى التى تمرون بها ، وانفذوا فى المضايق والمعابر إلى خارج تلك المناطق وجامع القول اعمدوا إلى اتخاذ التدابير التى ترون وجوب اتخاذها ثم تفضلوا ووافونا بالنتيجة ، ونرجو ألا تأسفوا على اتباع هذه الخطة اذ لاشك فى أنكم ستنالون النصر والتوفيق فى القريب العاجل فعسى أن تتفضلوا بتطبيق هذه الخطة ، وأن توافونا باخباركم ، وتطلعوننا على الجهة التى تقيمون فى اليوم فيها.

فى ربيع الثانى ١٢٤٣ هـ

يستخلص من هذه الوثيقة ما يلى :

- وقوف انجلترا وفرنسا وروسيا إلى جانب الثوار ودخول سفنهم فى ميناء نفارين .
- الاحتكاك المباشر بين اساطيل الحلفاء واساطيل السلطان ومحمد على وحدوث العديد من الخسائر الفادحة .
- تأييد سفراء الدول بالآستانه لحدوث المعارك ورغبة الصدر الأعظم فى التعرف على ما حدث من محمد على .
- الرغبة فى سحب العساكر إلى القلاع وتوفير المؤن اللازمه لهم .

وثيقة رقم (١٥)

موضوعها : رغبة محمد على فى سحب قواته من بلاد اليونان والأتفاق مع اميرال البحر الانجليزى على ذلك

مصدرها : دفتر ٣١ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة التركية رقم ٢٦٤ بتاريخ ٢٩ محرم ١٢٤٤ هـ

من الجانب العالى

الى القبوكتخدا

لما كنا قد أرسلنا إلى عطوفتكم العريضة التى كتبناها للباب العالى ، واشرنا فيها إلى ما آل إليه حال القوات العسكرية الموجودة فى معية نجلنا الباشا السرعسكر من جراء عدم وجود الأقوات الكافية لديها ، وطلبنا من قبيل العطف والحنان ان يسمح لهذه القوات بالعودة إلى مصر فقد بعثتم الينا برسالة تنبؤننا فيها بانكم قد قدمتم إلى الباب العالى عريضتنا هذه حيث صدر الأمر السامى على أثر ذلك بانتداب سعادة نجلكم أحمد شكرى بك للقيام الينا بالرد السامى الصادر فى هذا الشأن ، وليبسط لنا بعض الأمور الهامة الشفهية . وقد وصل سعادة نجلكم واطلعنا عن مضمون الرد السامى ، ووقفنا على جميع الأمور التى أدلى لنا سعادته بها . لقد بذلنا الجهد المستطاع فى سبيل المورة ، ولم ندخر وسعا فى هذا السبيل حتى اليوم لا من ناحية المال ولا من ناحية الرجال . ومن البديهى انه لوتسنى مد نجلنا الباشا بما يقوم بحاجة عساكره من الأقوات اليومية لما تقلقل من مكانه ، ولكننا لم نوفق لمدة بشئ من هذا القبيل . وقد حملتنا هذه الحالة على أن نهيب بأولياء الأمور المرة بعد المرة طالبين معالجة هذا الموقف وتلافى نتائجه الوخيمة وبذلنا فى هذا السبيل الشئ الكثير من الجهود ، وقمنا باضعاف هذه المساعى على أمل أن نتمكن من ناحيتنا من مد نجلنا بحاجته من الأقوات ، غير أننا فشلنا فى جميع مساعينا ومحاولاتنا ومن ثم عمدنا إلى بسط الأمر الواقع بين الأسى والحسرة ، وطلبنا الشفقة والرحمة لهذه القوات العسكرية بعد أن وصل بها الحال إلى ماوصل . ولكن جميع تضرعاتنا هذه والتماساتنا لم تلاق آذانا صاغية ولم ينظر اليها بنظر الاعتبار . وكانت النتيجة أن ظل نجلنا ومن فى معيته من العساكر فى حالة مؤلمة من ناحية الأقوات وأصبحوا لا يستطيعون أن يأتوا بأى عمل من جراء ما حل بهم من ضعف ووهن . ولما كان هلاك مثل هذا العدد من جنود الموحدين الذين جاهدوا طيلة هذه السنين ، وغدوا الآن فى حالة تستحق الشفقة مما لا يرضاه الله ، ولا يسمح به جلالة السلطان فقد التمسنا أن يسمح لهم بالعودة إلى مصر حتى إذا ما عادوا أخذنا ننظم أمورهم وشئونهم ونعدهم للعمل فى الجهة التى يراد استخدامهم فيها بعد أن يكونوا قد استراحوا مما حل بهم من عناء مدة من الزمن . هذا ولقد مضى على وصول نجلكم اليك المومى اليه أكثر من ٤٨ يوماً دون أن يصلنا من نجلنا الباشا أى خبر فقلقنا من جراء انقطاع اخباره عنا ، وبينما نحن فى هذه الحالة وصل إلى هنا محمد أغا خفتانى عطوفة نجلنا حيث اتضح لنا من الخطاب الذى زود به ، ومما قصه علينا شفهياً مبلغ ما يعانيه نجلنا من

الضيق والضجر ، وهنا ضاق صدرنا وتألمنا من قراره نفسنا حيث حيث حرنا فى أمرنا ، ولم نعد ندر اى الطرق نتبعها ، وإذ ذاك اتصل بنا أن ثمة سفينة من طراز قباق قد وصلت إلى الاسكندرية تقل الاميرال الأنجليزي (فودرنتون) وعلي أثر ذلك انتقلنا الي الأسكندريه حيث تحادثنا والأميرال الأنجليزى واتفقنا معه على بقاء قوات كافية من العساكر فى قلاع المورة وان ترسل إلى هذه القوات الأقوات الكافية وان يعود إلى مصر نجلنا الباشا ، ومن سيبقى معه من العساكر حتى إذا ما استراحت هذه العساكر مدة من الزمن هنا ونظمت أمورها، ولزم الأمر بعد ذلك استخدامها فى اى جهة الحقنا بها طوائف اخرى من اشداء العساكر ، وسيرناها إلى الجهة المطلوب استخدامها فيها ، وبذلك تظل القلاع السلطانية فى ايدى المسلمين بما سيقام فيها من العساكر للمحافظة عليها ، ويبقى أهالى موره على وضعهم الحالى ، وعملاً بهذا الاتفاق سنرسل للعساكر التى ستظل هناك ، وللأهالى ما يفى بحاجتهم من الاقوات لمدة ستة أشهر بما فى ذلك زيت القناديل أيضاً . أما العساكر الذين سيعودون مع نجلنا إلى مصر فسنوافيهم بحاجتهم من الاقوات لمدة شهرين على نحو ما يتضح لعطوفتكم من مضمون عريضتنا المقدمة للباب العالى وتحمل هذه الأقوات إلى هناك السفن الثلاث من الأسطول السلطانى الراسية الآن فى الأسكندرية ، وسفن القرصان والسفن النصف مسلحة المصرية ، وسفن التجار والسفن الأخرى التى استأجرت ومجموعها ٣٠ سفينة ، وستقلع إلى هناك فى هذين اليومين بقيادة سعادة البطرونة هما يون حسين بك . فيا حضرة الأخ إن موقفنا هذا الذى وقفناه قد لايتفق فى الظاهر وواجبات الاخلاص بيد اننا ارغمنا عليه ارغاماً بعد ان وصل الحال إلى ما وصل . ونحن لو لم نتبع هذه الخطة الجرينة لهلكت تلك الجموع من أفراد الأمة المحمدية من جراء الجوع وحاسبنا الله على ذلك يوم الحشر . وأنا لنأمل أن نفوز بالصفح السلطانى بالنسبة لضيتقنا هذا الذى ما قصدنا منه سوى تلافى هذه الحالة . لقد كان علينا ان نختار أهون الشرين فعمدنا إلى اتباع هذه الخطة فعسى إذا ما تسلمتم خطابنا هذا ان تعمدوا إلى تقديم عريضتنا إلى الباب العالى ، وان تزيدوا عليها كلمة طيبة من عندكم ، وان يعملوا لى في نفس الوقت على فوزنا بالصفح عن وقوفنا هذا الموقف الذى ما دفعنا اليه إلا أملنا الوطيد فى اللطف والكرم السامى .

يستخلص من هذه الوثيقة ما يلي :

- عدم وجود الأقوات اللازمة للقوات بعد الهزيمة هذا بالأضافة إلى سوء احوالها ، وطلب الدعم من السلطنه وفشل المساعى الخاصة بذلك
- اعلان محمد على عن رغبته فى السماح لقواته بالعودة إلى مصر حتى تتمكن من اعادة تنظيم أمورها .
- اتفاق محمد على مع اميرال البحر الانجليزى على انسحاب القوات المصرية قبل الحصول على موافقة السلطان .
- مطالبة محمد على السلطان بالصفح عن موقفه الذي اضطر اليه .

وثيقة رقم (١٦)

موضوعها : مرسوم صادر إلى رجال الجيش المصرى بالمورة .
مصدرها : دفتر ٢٦ معية تركى ـ ترجمة الوثيقة رقم ٣٦٣ بتاريخ ٩ ذى الحجة ١٢٤٣

إلى عمدة المجاهدين البكوات الميرالايات ، والأغوات القائم مقامية والبكباشية وجميع الضباط ، وإلى مفاخر الغزاة المسلمين الأغوات زعماء الفرسان والمشاه وجميع الجنود من مختلف الأسلحة . ننهى اليكم ونفهمكم اننا اطلعنا على جميع مصروفاتكم المرسله أخيرا مع القايمقام يعقوب أغا الموفد الينا ، ووقفنا على حالتكم المضجرة المؤلمة التى انتابتكم من جهة المؤونة . فماذا نقول وقد حدث ذلك ؟ غنى عن البرهان أنكم صابرون على هذا البلاء فتكونون ممن يشار اليهم بالبنان ومن المتفوقين على اترابكم بمقتضى الشرف العسكرى . ليس فى الدنيا فرد واحد يقبل أن يهلك نفسه جوعا فكيف تستسيغ نفسى ذلك وتقبله . انكم جميعا ثمرة عمرنا ، ويعلم الناس طرا بما يصيبنا من الحزن والغم حتى ولو اصيب احدكم فى ميدان الوغى واحرز رتبه الشهادة . ولقد ازدانت صحف التاريخ منذ عهد آدم إلى يومنا هذا باسماء الذين نالوا شرف الشهادة ، وهذا ما يدعونا إلى التسلية واستذكارهم بالرحمة فيكيف نسمح لانفسنا أن تهلكوا جوعا والعياذ بالله تعالى !.. فثبتوا أقدامكم وثابروا على الثبات والغيرة حتى تجد المخرج من هذه الأزمة بعناية الله تعالى ، ونجد طريقا لارسال باقى افندى اليكم وحيث اننا قد اعدنا القائمقام المذكور اخيرا فقد اصدرنا هذا المرسوم من ديوان مصر ، ومقر الاسكندرية وارسلناه معه اليكم ...

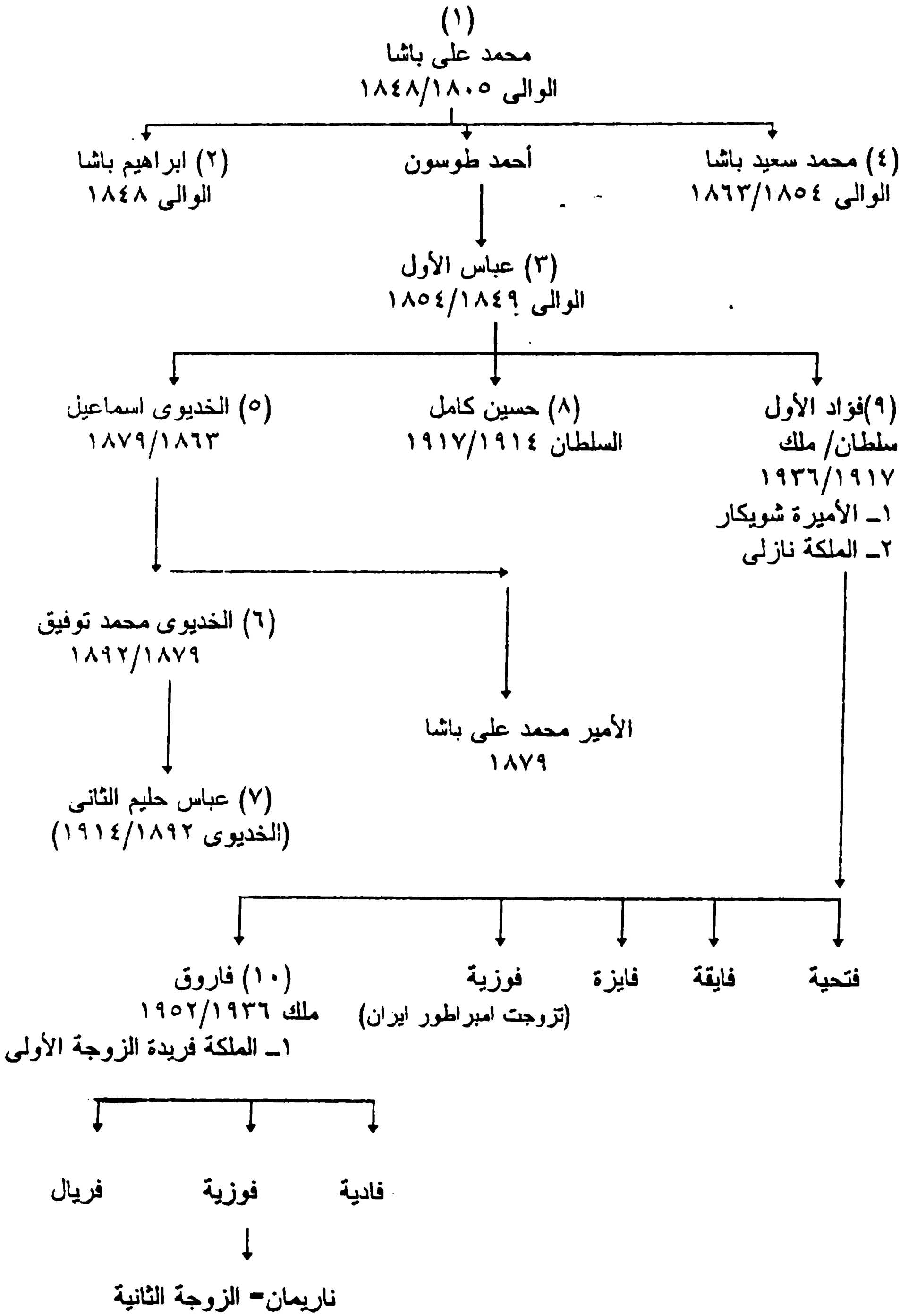
هذا وفى الوقت الذى يشهد فيه العالم مبلغ الحزن الذى تعترينى عندما اسمع بسقوط أحد منكم شهيدا فى ميدان المعركة . وحيث أن أسماء الأبطال الذين نالوا شرف الشهادة من قديم الزمان لغاية الآن تزين صحف التاريخ وكلما تُذكر تذكر بالعظمة والاجلال ، وتُسكب عليها شآبيب الرحمة . وهذا هو عزائى الوحيد . بناء عليه كيف يرتاح ضميرى إذا ترك أحدا منكم لاسمح الله يموت من الجوع فعشمى أن تصبروا على هذه المحنة وانى باذن الله تعالى سأجد حتما وسيلة لانقاذكم منها وايصالكم إلى بر السلامة . وقد ارسلت باقى افندى إلى طرفكم ليفهمكم الكيفية .

يستخلص من هذه الوثيقة ما يلى :

- الوقوف على حاجة الجيش المصرى المؤلمة فى بلاد اليونان والرغبة فى إيجاد الحلول السريعة لانقاذه من المجاعة .
- ضرورة الصبر على المحن حتى يحل الفرج .

وثيقة رقم (١٧)

نسب الأسرة العلوية فى مصر



فـهـرسـت

الموضوع :

أولا : مقدمه تحليلية

ثانيا : الوثائق وتشمل :.



السيد جمال الدين الأفغانى فى شبابه

لوج كوكب الشرق
نمرة
١٢٥٥

في القاهرة مصر ٧ جنايو $\frac{١٨٧٨}{٥٨٧٨}$

خطاب من كاتب سر المجمع الماسونى
إلى جمال الدين الأفغانى يخبره فيه بقبوله عضوا فى لوج كوكب الشرق

الى الاخ جمال الدين محترم
انه لمعلوم لديكم بان في جلسة ٢٨ الماضي وباغلبية الارا صار انتخابكم رئيس محترم لهذا اللوج لهذا العام ولذا قد هنيتكم وهني ذواتنا على هذا الحظ العظيم وعن امر الرئيس محترم الحالي ادعوا خوتكم للحضور يوم الجمعة القادم ١١ الجاري الساعة عربي بعد الغروب الى محل هذا اللوج لاجل اشتغالاتكم القادوم بعد اتمام مايجب من التكريز الاعتيادي ثم بتصير يوم الخميس ١٠ الجاري الساعة افرنكي ٦ ماتكريز رئيس محترم لوج كونكورديه فالرجا حضوركم في اليوم المذكور للاشتراك في الاشغال وفي الحالتين فلابسكم تكون سودا ورباطة الرقبة والكفوف بيضا واقبلوا منا العناق الاخوي ..

كاتب سر
نقولا
شروج
م

٢ ـ حقيقة دخول الافغانى ومحمد عبده فى الحركة الماسونيه

جرت عادة أعداء الأمة الاسلامية تشويه صورة المصلحين والمناضلين المسلمين ، والكيد لهم أمام بنى جلدتهم بهدف اثبات عدم وجود المصلح القدوة الذى يمكن أن يفتخر به المسلمون ويسيرون على منواله ، وأيضا بهدف اضعاف العقيده الاسلامية واثبات عدم تفاعلها مع روح العصر الحديث حتى يبتعد المسلمون عن دينهم .

وقد نال " جمال الدين الأفغانى" وتلاميذه خصوصا " محمد عبده " الكثير من المحاولات الهادفه الى تشويه تاريخهم والانتقاص من أقدارهم . وواجبنا نحو هؤلاء الأعلام من المسلمين إثبات الحقيقة دون لبث أو مواربة خصوصا وأن التاريخ خير حكم ، وأكبر دليل على كشف زيف الباطل وإبراز صوت الحق .

ونتيجة لذلك سنحاول أن نثبت فى ضوء الوثائق التاريخية ماهية الحركة الماسونية ، وهل دخل الأفغانى ومحمد عبده هذه الحركة ، وإذا كانا قد دخلاها فهل كان ذلك عن اقتناع منهما بها أو أنهما تورطا فى الأمر ، ثم ثابا إلى رشدهما ، بعد أن علما بمراميها الشيطانية وإذا كانا قد تورطا عند الدخول فى هذه الحركة فهل نلتمس لهما العذر أو نساير حركة الهجوم عليهما ونطعنهما بسكين الاعداء الذين يحاولون بث سموم الفرقة بين المسلمين . هذا هو ما سنعرض له .

أولا : التعريف بالماسونية وأهدافها

الماسون Macon كلمه فرنساوية معناها بناء والماسونية بمعنى البناءة ، وجماعة البنائين هم الأعضاء وكانت لهم كلمات واشارات يتعارفون بها [١] .

والماسونية فى مهمتها " أن تدخل فى روع الناس أنهم متساوون ، وان الميزات القومية والمعتقدات كلها اصطناعية لاقيمة لها "[٢]

والحقيقة أن الماسون يبطنون غير ما يظهرون ، وأنهم حركة تنظيمية خفية قام بها حاخامات التلمود بهدف خدمة المصالح اليهودية ، وتحقيق الأهداف الصهيونية بشأن السيطرة على العالم وإقامة ملك اسرائيل ، واعادة بناء هيكل سليمان ، وانهم يضحون بالأخلاق

---

[١] جرجى زيدان : تاريخ الماسونية العام •
القاهرة ، مطبعة المحروسة ، ١٨٨٩م ص ٣١

[٢] ر . فورستيه : هذه هى الماسونية ـ ترجمة بهيج شعبان
دار بيروت ، ١٩٥٥ ص ٩، ١٢

والشرف والعرض فى سبيل تحقيق أغراضهم خصوصا وأن مبدأهم فى الحياة يقوم على الطريقة الميكافيلية المعرفة " الغاية تبرر الوسيلة " .

فالماسونى الذي يصل إلى أسمى الدرجات هو الذى ينحرف عن دينه ووطنه ، وتصبح الماسونية عقيدته ومن المعروف أنه يوجد فى الماسونية ثلاث وثلاثون درجة يترقى فيها العضو بمقدار إخلاصه للماسونية وتعاليمها ، وأن اليهود هم اكثر الأعضاء وصولا لأرقى الدرجات فى الماسونية [١] .

ثانيا : التعريف بالأفغانى ومحمد عبده

أما عن الأفغانى (١٨٣٩ ـ ١٨٩٧م) فهو حكيم الشرق الذى كانت له آثار بعيدة المدى فى العالم الاسلامى [٢] وقد حضر إلى مصر فى عام ١٨٧١م وألف مجلسا استهوى بأفكاره الجريئة الكثير من الوطنيين فى ذلك الوقت والعديد من خيرة الطلاب من مجاورى الأزهر وبعض علمائه ومن هؤلاء " محمد عبده " و "عبدالله النديم " و "سعد زغلول "وغيرهم من الذين التفوا حوله فى منزله ، وفى المقاهى والمتنزهات ، وانخرطوا فى سلك تلامذته واعجوا بفيض علمه ، وتعلموا منه الكثير من المسائل الدينية [٣] وحرية البحث والنقد والجرأة فى الدفاع عن الحق واستطاعوا نشر تعاليمه والقول بقوله [٤] حيث نادى بتطهير البلاد من ذل العبودية واستبداد الخديو ، وسيطرة الأجنبى على مقدرات البلاد وأفنى حياته فى سبيل ايقاظ العالم الإسلامى وانذاره بسوء العاقبة وبخطر السيطرة الغربية [٥] .

وأما عن محمد عبده (١٨٤٥ ـ ١٩٠٥) فهو من مؤسسى النهضة المصرية الحديثة ، وكبار الدعاة إلى التجديد والإصلاح فى العالم الاسلامىّ ، وقد اتصل بالأفغانى اتصالا وثيقا وتأثر به كثيرا ، وبعدها استطاع أن يمد منهجه العقلىفى التجديد الدينى إلى دائرة الفكر السياسى ، فشارك فى الثورة العرابية التى تولى زمامها العسكريون ، والتى انتهى الأمر بقياداتها السياسية الكبيرة إلى الابتعاد عن العمل السياسى بعد وجود الاحتلال والآثار المترتبة عليه [٦] وإلى جانب ذلك فقد ترك "محمد عبده" من التراث الفكرى ما جعله فى الصفوف الأولى من جيل الرواد الذين أسسوا مدرسة استطاعت أن تفرض نفسها مع امتداد الوطن العربى والعالم الاسلامىّ .

---

[١] على عبدالحليم محمود : جمال الدين الأفغانى ، جدة ، دار عكاظ ١٣٩٩هـ ص ١٤٥

[٢] للتفاصيل انظر المجلة التاريخية المصرية : المجلدان التاسع والعاشر ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ مقال للدكتور أحمد عبدالرحيم مصطفى تحت عنوان " أفكار جمال الدين الأفغانى السياسية " ص ٢١٥

[٣] دار الوثائق القومية بالقاهرة : مذكرات ابراهيم الهلباوى مخطوط ص ٤

[٤] أديب اسحق : الدرر ، الاسكندرية ، مطبعة الأداب ١٩٠٥، ص ١٨

[٥] لوثروب ستودارد : حاضر العالم الاسلامى ـ ترجمة عجاج نويهض ، المجلد الأول جـ ١ ، بيروت ، دار الفكر ، الطبعة الرابعة ، ١٢٩٤ هـ / ١٩٧٣م ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨

[٦] عبدالرحمن الرافعى : الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى
القاهرة ، النهضة المصرية ، ١٩٧٣م ص ٥٥٣

ومن المعروف أن آراء محمد عبده الاصلاحية اتفقت فى كثيرمن المواقف مع دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية [١] والتى قامت الدولة السعودية الأولى بمعاضدتها واتخذتها ركيزة لها .

ويتضح ذلك من خلال جماعة العروة الوثقى التى قادها "الأفغانى" و "محمد عبده" ، ومجلة النار التى أسسها "محمد رشيد رضا" تلميذ الامام "محمد عبده" .

ثالثا : الماسونية وجمال الدين الأفغانى ومحمد عبده

أما عن حقيقة دخول الأفغانىّ ومحمد عبده فى الحركة الماسونية فهى ثابتة تاريخيا بالوثائق والأسانيد [٢] وأسباب دخولهما هذه الحركة يرجع إلى رغبتهما فى اتخاذها وسيلة لمقاومة بطش الخديو اسماعيل ، وليجمعا من خلالها كلمة الوطنيين خصوصا وأن الحركة الوطنية فى ذلك الوقت كانت ما تزال وليدة ومن السهل القضاء عليها ، كما يرجع إلى تصديق الأفغانىّ وتلاميذه لمزاعم المروجين للماسونية بأنها هيئة غرضها محبة الانسان والدعوة إلى الحكمة والفلاح وممارسة التعاضد والاصلاح ، وعمل الخير والتسامح والتضامن البشرى ، وأن شعارها هو " الحرية والإخاء والمساواة " [٣] ونتيجة لهذه الشعارات البراقة التى تعلنها الماسونية والتى تبدو فى الوهلة الأولى أنها مبادئ اصلاحية دخل الأفغانى ومحمد عبده المحافل الماسونية ذات النشاط السرىّ والمتمتعة بالرعاية والحماية الأجنبيتين [٤] حتى يستطيعا من خلالها مواجهة التدخل الأجنبى المتزايد على بلاد المسلمين وقتذاك ، والسعى وراء دك صروح الظلم وتشييد معالم العدل .

ومن المعروف تاريخيا أن الأفغانى اتصل بالماسونيين الايطاليين ، وتفاهم معهم على تأليف مجمع الشرق بالاسكندرية وقد بدأ هذا المحفل نشاطه فى عام ١٨٧٨م ، ثم دخله محمد عبده ، وبقية تلاميذ الأفغانى . وخلال ذلك حاول الأفغانى أن يجعل من المحفل الماسونى مطية للعمل السياسى ، كما دعا إلى انشاء الصحف لشرح مبادئ الوطنية ، ودعوة الناس إلى معرفة حقوقهم فانشئت جرائد مصر ،والتجارة ، والوطن ، وأبونظارة وغيرها .

ولم يستمر الأفغانى وتلاميذه فى هذا المحفل طويلا حيث انتقلوا الى المحفل الماسونى الانجليزى " كوكب الشرق" التابع للمحفل الكبير بانجلترا ، والذى كان يرعاه "البرنس اوف

---

[١] من أبرز الأمثلة على ذلك إعلان الحرب على الخرافات والمناداة بالعودة بالاسلام إلى صفائه الأول ، والجهاد المشروع فى سبيل نشر دعوة التوحيد الخالصة لوجه الله ، وفهم الدين على طريقة السلف الصالح. انظر على سبيل المثال . عبد العاطى أحمد : الفكر السياسى للإمام محمد عبده ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٨ ص ٢٩١

[٢] لتفاصيل ذلك انظر دار الوثائق القومية بالقاهرة : أوراق تتعلق بالسيد جمال الدين الأفغانى . وانظر أيضا ملاحق البحث .

[٣] انظر . الماسونية أقدم الجمعيات السرية واخطرها ص ٣ ـ ٤

[٤] أحمد عبدالرحيم مصطفى : تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٧٣ ص ٨٥

ويلز" على أمل أن يجدوا فيه ما يتوقون إليه من حرية القول ، وإتاحة تبادل الأفكار بين المثقفين [١] .

وقد أخذ الأفغانى من خلال هذا المحفل يخطب الخطب التى تستنفر الخامل ، وتوقظ الغافل ، كما أشار على تلامذته بنشر الأخبار الخاصة بالحقوق المهضومة لأبناء المسلمين وقد خاب ظن الأفغانى وتلاميذه فى هذا المحفل إذ أدركوا أن ما سمعوه لا ينطبق على ما شاهدوه من زيف وأغراض وأهدافٍ تعمل لخدمة الصهيونية فبعد أن حصل على وعد من الماسون بامكانية التحدث فى السياسة ، ومهاجمة الظلم والاستبداد ، والدعوة الى تشييد معالم الحق المطلق لفت الماسون نظره بأن الماسونية لا دخل لها فى السياسة وبأنه لايحق له مهاجمة الاستعمار داخل المحافل الماسونية مما دفع بالأفغانى وتلاميذه إلى الإنسحاب من المحافل الماسونية ، وفضح اسرارها ، وكشف أخطارها ، وابراز زيف شعاراتها فى الحرية والإخاء والمساواة وإثبات حقيقة أن اليهودية العالمية كامنة وراء الماسونية ، وان الماسونية عصا حديدية بيد اليهود يضربون بها كل مخالفيهم [٢] كما انها تفرز معاول الهدم للقيم الدينية من خلال رجال الفكر والسياسة والأعمال [٣] وذلك عن طريق زعزعة الثقة فى أن تكون الأديان هى نموذج العمل الإنسانى الأعظم فى خدمة التطور الإنسانى ومستقبله ونتيجة لذلك لم يترك الماسون الأفغانى ومحمد عبده يعيشان فى سلام فقد طلب قنصل بريطانيا فى مصر من الخديو محمد توفيق حاكم مصر التخلص من الأفغانى وإبعاده عن البلاد ، فأصدر الخديو أمره بإخراج الأفغانى من القطر المصرى ، وكان ذلك فى عام ١٨٧٩ [٤] .

ولم يتوقف ايذاء الماسون للأفغانى عند هذا الحد فبعد أن استقر الأفغانى فى الاستانه لاحقه الماسون هناك ووضعوا له السم فى القهوة ، وبعد أن ظهرت آلام شديدة فى فمه أجرى له الطبيب اللماسونى "قمبور زاده اسكندر باشا" عملية جراحية زادت من سوء أحواله ، وأدت فى نهاية الأمر إلى وفاته فى صبيحة الثلاثاء ٩ مارس ١٨٩٧ [٥] .

أما عن محمد عبده فقد لفق له الماسون التهم الباطلة والتى كان أخطرها استغلال جهل قراء الصحف فى ذلك الوقت بصناعة التصوير الشمسى والتى من اسرارها أن يلفق المصور رسما واحدا من ثلاثة رسوم أو أربعة متفرقات ، واستطاعوا تلفيق صورة للشيخ محمد عبده وكأنه فى حلبة للرقص يخاصر فتاة فرنسية وكلبها يعبث بأطراف جبته مما أساء اليه امام المجتمع الاسلامى الذى اتضح له بعد ذلك أن هذه الصورة ملفقة ، وأدين صاحب جريدة "حارة منيتى " الذى نشر هذه الصورة ، وإلى جانب ذلك فقد كانت وفاة محمد عبده مثيرة للشكوك فقد

---

(١) Dr , M. sabry : Le gene'se de L'esprit National Egyptien pp. 147

(٢) الماسونية أقدم الجمعيات السرية وأخطرها ص ٦٤

(٣) صابر طعيمة : الماسونية والصهيونية والشيوعية غاية وهدفا ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٧٧ ، ص١٠

(٤) محمد المخزومى : خاطرات جمال الدين الأفغانى الحسينى ، بيروت ، المطبعة العلمية ، ١٩٣١م ص ٤٩-٥٠

(٥) لوثروب ستودارد : المرجع السابق جـ٢ ص ٢٩٧

وأيضا عبدالرحمن الرافعى : جمال الدين الأفغانى باعث نهضة الشرق ١٨٣٨ ـ ١٨٩٧ ، القاهرة ، سلسلة أعلام العرب (٦١) ص ١٤٢ ـ ١٤٣

توفى بمرض لم يتحقق منه الاطباء قبل استفحاله [١] .

وبعد أن أصبح الأفغانى وتلاميذه فى ذمة الله والتاريخ والدفاع عنهم أو مهاجمتهم لم يعد يجدى أحدا منهم وإنما يـؤدى إلـى إحقـاق الحق ، وانصـاف التـاريخ لسـيرة بعـض المصلحيـن المخلصين من ابناء الأمة الاسلامية فاننا نقول إن الأفغانى وتلاميذه الذين تورطوا معـه دخلـوا الحركة الماسونية قـانعين بألفـاظ براقـة مثـل الحريـة والإخـاء والمسـاواة ، ومنـاصـرة المظلـوم ومهاجمة الظلم ، وتوطيد عوامل الخير والاحسان بين البشر وأنهم لم يكونوا علـى علـم بخفايـا الماسونية ، ومعاداتها للأديان .

قد يقول البعض إن هذا عذر أقبح من ذنب خصوصا وأن علماءً كبارا كهؤلاء كان يجب عليهم التعرف على حقيقة الماسونية . أقول إن أهداف الماسونية زمن الأفغنى وتلاميـذه كـانت مستترة عن أعين المسلمين ولم يعرف أحدٌ فى ذلك الوقت جوانب العداء الكـامن فيهـا للأديـان عموما والإسلام خصوصا ، كما أن صلتها بالصهيونية العالية لم تكن واضحة أيضا . ومن هنا فالأفغانى ومحمد عبده اللـذان لانشك فـى إخلاصهمـا للإصـلاح فـى العـالم الإسـلامىّ لـم يكـن يعرفان حقيقة هذه الحركة أو أهدافها ، وأنه من المنطقى أن نلتمس لهم العذر فى ذلك .

وفى النهاية أودُ أن أذكر أنه يجب علينا الحذر من الوقوع فى شرك الماسونية التى وقـع فيها حكيما الشرق ـ فى القرن الثالث عشر الهجرى ، التاسع عشر الميـلادىّ ــ جمـال الديـن الأفغانى ومحمد عبده خصوصا وأنها تستتر وراء اسماءٍ وشعارات مختلفة وتحمل فـى الظـاهر معانى الخير ، وتخفى بين جنباتها معاول الهدم والتخريب . وأنـه يجب علـى الأجيـال القادمـة الحذر من المخاطر والشراك المنصوبة أمامهم والدعوةُ إلى التعرف بكياسة وفطنة على سماحة الاسلام ونقائه والارتبـاط باللـه تعـالى ، والاعتصـام بحبلـه المتيـن لمجابهـة كـلّ صـور المسـخ والتشويه التى يحاول اعداء الاسلام تلقينها لابناء المسلمين .

---

[١] عباس محمود العقاد : عبقرى الاصلاح والتعليم الأستاذ الامام محمد عبده ، القاهرة ، سلسلة اعلام العرب (٨٨) ص ١٧٤ ، ٢٢٦

المصادر والمراجع

أولا : دار الوثائق

دار الوثائق القومية بالقاهرة
١ ـ أوراق تتعلق بالسيد جمال الدين الأفغانى .
٢ ـ مذكرات ابراهيم الهلباوى (مخطوط)

ثانيا : المصادر والمراجع العربية

أحمد عبدالرحيم مصطفى : تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة ، القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ١٩٧٣

أديب اسحق : الدرر ــ وهى منتخبات أديب اسحق (٤ أجزاء فى مجلد واحد) الاسكندرية، مطبعة الآداب ، ١٩٠٥ م

جرجى زيدان : تاريخ الماسونية العام ، القاهرة ، مطبعة المحروسة ١٨٨٩

ر . فورستيه : هذه هى الماسونية ـ ترجمة بهيج شعبان دار بيروت ، ١٩٥٥

صابر طعيمة : الماسونية والصهيونية والشيوعية غاية وهدفا ، القاهرة ، دار الفكر العربى ١٩٩٧م

عباس محمود العقاد : عبقرى الاصلاح والتعليم الأستاذ الامام محمد عبده ، القاهرة سلسلة اعلام العرب (٨٨)

عبدالرحمن الرافعى : ا ـ الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ، القاهرة ١٩٣٧
ب ـ جمال الدين الأفغانى باعث نهضة الشرق ، القاهرة ، اعلام العرب

عبدالعاطى أحمد : الفكر السياسى للإمام محمد عبده ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨م

على عبدالحليم محمود : جمال الدين الأفغانى ، المملكة السعودية ، جدة ، دار عكاظ للطباعة والنشر ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م

لوثردب ستودارد : حاضر العـالم الاسـلامى ــ ترجمـة عجـاج نويهـض ، بيروت ، دار الفكر ١٢٩٤ هـ / ١٩٧٣م

محمد المخزومى : خاطرات جمال الدين الأفغانى الحسينى ، بيروت ، المطبعة العلمية ، ١٩٣١م

ثالثا : المراجع الأجنبية :

M. sabry : Le gene'se de L'esprit National Egyptien

رابعا : الدوريات

المجلة التاريخية المصرية ، المجلدان التاسع والعاشر ٦٠ ـ ١٩٦٢ م

الى صاحب الدولة والجلالة اللورد شارلس باريسفورد .

اني اقدم اعظم التحيات وازكى التسليمات لفخامتكم واشكر لدولتكم على ما اظهرتموه نحوي من حسن المساعدة والتفاتكم الكريم في المدافعة عني من غير سبق مقابلة بيننا بل باعث الشهامة الكريمة والروح الحر متعارفة متعاضدة في خدمة الانسانية باعمالها الشريفة. هذا واني اؤكد لدولتكم انه لم يكن بين المصريين والامة الانكليزية ادنى عداوة اصلا لتسبب حصول ما حصل بل ولغاية الان لم احد من المصريين يعرف الاسباب التي انبنى عليها حصول الحرب التي حصلت حيث انه لغاية الساعة التي ابتدئ فيها بضرب المدافع في اسكندرية كانت الامة المصرية محافظة كل المحافظة على صنوف الامة الانكليزية بل وعلى صنوف جميع اهل اوروبا وبعد ان ظهر لنا بسبب الحرب تحولت ايضا عند الامة الانكليزية فلما حصل الحرب وكان تقرر بالمجلس المنعقد لذلك تحت رياسة الخديوي ودرويش باشا مندوب السلطان لزوم المدافعة والزمنا بامر المدافعة بمقتضى هذه القرار الرسمي وكانت مدافعتنا عن بلادنا بمقتضى الشرع والشرائع وذلك باقرار الخديوي وحكام الشرع وجميع وكلاء الحكومة ولما كانت الحرب قائمة في اسكندرية كانت تأتينا رسل الخديوي تحرضنا على القتال وتحثوننا على الصبر والثبات مع [illegible] صورة الطوابي وبعد تدمير الطوابي وتعطيل المدافع عقد مجلس آخر تحت رياسة الخديوي ودرويش باشا ايضا للنظر فيما يصير اجراؤه بعد ذلك فتقرر به بانه اذا حصل الضرب في الاسكندرية في اليوم الثاني يصير رفع الرايات البيضاء من الطوابي علامة على طلب المخابرة وقد حصل ذلك وانا كنا مستعدين في كل وقت لطلب الصلح لكن لما أرسل طلبه باشا للمخابرة قيل له ان الاميرال سيمور يطلب تسليم ثلاث طوابي لاتخاذهم معسكرا للجيش الانكليزي وتقرر بالمجلس ايضا ان هذا الطلب من حقوق الحضرة السلطانية وقيل من مندوب الاميرال انه اذا لم يجاب لهذا الطلب فانه يصير اعادة الضرب بالمدافع واخذ تلك الطوابي قهرا وحيث ان موقع اسكندرية لا يناسب لاقامة العساكر فيه ونخشى من تمام خطة الرجوع وضبطه من خلفهم بواسطة العساكر الانكليزية انحدرت العساكر المصرية على الرجوع الى جهة كفر الدوار لتكون آمنة على خط الرجعة ومن هذا يعلم انه لو خرجت العساكر الانكليزية في ثاني يوم بعد انتقالهم لما ان وجدت ممانعة وكان امكنها حفظ البلد من النهب والحريق ايضا وهذه البيانات بناء على طلب المستر نابيار المحامي عني في المحاكمة ثم وارجو دولتكم قبول احترامي الفائقة لمعالي فخامتكم

احمد عرابي
المصري

١٠ دسمبر

وثيقة — خطاب بعث به « احمد عرابى باشا » الى « لورد شارلس باريسفورد » يروى فيه قصة ضرب الاسكندرية تلبية لطلب اللورد من مستر برودلى .

٣- العرابيون وقناه السويس [١]

كان لنجاح فرديناند دلسبس فى اقناع والى مصر محمد سعيد باشا بالموافقه على عقد امتياز قناه السويس فى ٣٠نوفمبر ١٨٥٤ ،وما تبع ذلك من شق القناه لتصل البحرين المتوسط بالاحمر،ثم افتتاحهافى عهد الخديوى اسماعيل فى نوفمبر ١٨٦٩ ، ان انفقت البلاد الكثير من المبالغ التى ناءت تحت وطأتها الماليه المصريه، وكبلتها بقيود شديده ، وزاد الامر سوءا انه لم تكد تمر ست سنوات تمر على افتتاح القناه حتى باع اسماعيل أسهم مصر منها الى انجلترا، ثم زادّ الطين بله قيام الخديوى توفيق فى عام ١٨٨٠ ببيع حصه مصر المقرره فى ارباح الشركه.[٢]

وقد اهتمت انجلترا بالقناه ، وحاولت التحكم فيها بالسيطره عليها ، بعد أن رأت أن مصالحها الاقتصاديه والسياسيه قد صارت مرتبطه بها،نظراً لخطورتها كطريق ملاحى لمواصلاتها مع ممتلكاتها فى آسيا واستراليا و المحيط الهادى ، كما أنها المدخل الى قارة افريقيا التى اصبحت ميداناً للتسابق الاستعمارى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر . يضاف الى ذلك أنه فى حاله قيام حرب عالميه تكون القناه من اكبر العوامل المساعده للدوله التى تتحكم فيها، لذلك كانت انجلترا حريصه على ابعاد ايه سيطره أجنبيه يمكنها تهديد هذا الممر المائى الحيوى. كما كانت حريصه ايضاً على ان تضع القناه تحت سيطرتها، ومن هنا أسرعت بشراء صفقه مصر فى القناه التى عرضها الخديوى للبيع نظراً لحاجته الى المال ، ولم تكتف بذلك ، بل رأت ضروره السيطره على الدوله التى تمر فيها القناه ، ومن هنا كان تذرعها بمسانده الخديوى ضد العرابيين حتى تتيح لنفسها فرصه احتلال مصر ، والتخلص من الوطنيين الذين اذا تمكنوا من حكم بلادهم يمكنهم انهاء النفوذ الاجنبى ، ومن أجل ذلك روجت انجلترا لفكرة أن العرابيين يهددون الملاحه فى قناه السويس حتى تثير الرأى العام الأوربى ضدهم ، وتتيح لنفسها الفرصه للتدخل فى شئون القنال دون أن تتألب عليها الدول ذات المصلحه فيها.

والسؤال الذى يطرح نفسه هو:هل كان العرابيون فعلاً ينوون ردم القناه أو اغلاقها اذا وقعت بينهم وبين الانجليز معرك حربيه ؟
الوقع أن مسأله ردم القناه أثيرت قبيل المعارك الحربيه بفتره وجيزه ، كما أثيرت أيضا طريقه مقاومه السفن الحربيه الانجليزيه اذا حاولت عبورالقناه ،ووضعت الخطط اللازمه لسد القناه اذا ما تعرضت للخطر وذلك بالسيطره على البوغاز والاراضى المحيطه به،واغراق اى مركب

---

[١] قدم هذا البحث الى ندوه قناه السويس بمناسبه اليوبيل الفضى لتأميم القناه ١٩٥٦-١٩٨١ والتى عقدت بقصر الزعفران بجامعه عين شمس فى مارس ١٩٨٣.

[٢] المجله التاريخيه المصريه: المجلد السادس١٩٥٧ ، مقال للدكتور عبد العزيز الشناوى تحت عنوان:"ما تكلفته مصر فى انشاء قناه السويس".

يمر منها عن طريق وضع توربيد فيها أو وضع ديناميت على الشواطىء. أو وضع بطاريات مدفعيه لاغراق السفن التى تحاول المرور عنوة، كما وصل تفكير العرابيين الى قطع المياه العذبه عن مدينتى بور سعيد والسويس عن طريق ضرب المواسير التى تحمل هذه المياه،أو تحويل المياه عن ترعه الاسماعيليه عن طريق السيطره عليها من منابعها فى الوادى[١] .
هذا بالاضافه الى ترتيب قوه عسكريه تزيد أو تنقص تبعاً لاستعدادات العدو وحركاته[٢] .

وامعاناً فى الحذر ، والسرعه فى المبادأه أعد محمودفهمى رئيس هيئه اركان حرب الجيش المصرى تصميماً لنسف جوانب القناه بالديناميت فى ظرف أربع و عشرون ساعه اذا أقتضى الامر ،كما وضعت الألغام عند مداخل القناه ،ووضع تحت تصرف الجيش خمسه آلاف من البدو لردم القناه فى نقطه ما على امتدادها اذا لزم الامر كما كانت هناك أوامر لمعسكر الزقازيق بحشد ثلاثين ألف رجل مزودين بالفؤوس لهذا الغرض ،يضاف الى ذلك تواجد سفن محمله بالمواد المفرقعه على مسافه قليله استعداداً لتنفيذ أى اوامر[٣].

واذا كانت هذه الاستعدادات قد حدثت بالفعل ، فلماذا لم يصدر عرابى قراره فى الوقت المناسب باغلاق القناه ؟
الواقع أن عرابى ظل متردداً فى اتخاذ هذا القرار ،وعلى الرغم من أن المجلس العسكرى الذى شكل للنظر فى مسأله القناه قد أيد فكره أغلاقها ، فإن عرابى أكتفى بتشكيل قوه عسكريه كامله من كافه الاسلحه تتمركزفى التل الكبيرلصد العدو اذا ما حاول التقدم من جهه القناه[٤] .ولم يستمع الى وجهة النظر الخاصه بضرورة اغلاقها ،كما كان يقتضى الأمر ، بل أستمع الى نصائح ووعود دلسبس بضمان حياد المرور بالقناه للجميع[٥]، وباستحاله دخول الانجليز فيها طالما تعهد العرابيون بعدم المساس بها،وأن الانجليز لن يدخلوا القناه الا بعد فصل رأسه عن بدنه ، ويعبرون على جثته .

وقد حصل دلسبس على وعد من عرابى تعهد فيه باحترام حياد قناه السويس، وحريه الملاحه فيها ،وعدم السماح بسد مدخلها الشمالى[٦] على أن يضمن هو الآخر احترام هذا الحياد من جانب الانجليز ،ويبدو أن عرابى قد وافق على اعطاء هذا الوعد لعدة اسباب هى:
١ـ محاوله عدم اثاره دول اوربا ضده .
٢ـ توقع احترام حياد القناه من جانب الانجليز تحت الضغط الدولى .

---

[١] زين العابدين شمس الدين :بورسعيد.تاريخها وتطورها منذ نشأتها١٨٥٩ـ١٨٨٢ .رساله ماجستير غير منشوره نوقشت بآداب عين شمس، ص ٤١١.
[٢] محافظ الثوره العرابيه :محفظه رقم ٨ ملف رقم ٢١٧ ، تحت عنوان"الثوره العرابيه وقضايا المتهمين".أنظر ايضاً كتابنا:الثوره العرابيه فى ضوء الوثائق المصريه ص ٧٨.
[٣] زين العابدين : المرجع السابق، ص ٤١٣.
[٤] محافظ الثوره العرابيه:محفظه رقم ٢١ دوسيه ١٥ .
[٥] محافظ الثوره العرابيه : محفظه رقم ١٩ دوسيه ٩٨ تلغراف من دلسبس رئيس المحكمه العسكريه بالقاهره. مرسل من باريس بتاريخ ١٥ /١٨٨٢/١١.
[٦] Blunt: secret History of the English occupation of Egypt pp . 300- 301 .

٣- أن عرابى كان لا يرى أمامه سوى طريقين لحمله عسكريه على مصر:.
الطريق الاول يبدأمن الاسكندريه ورشيد ثم يتبع فرع النيل ويخترق الدلتا ،وهى منطقه مليئه بالقوات وتغطيهاغالباً مياه فيضان النيل فى الصيف ، والطريق الثانى يتركز فى قناه السويس ، وقد ركز عرابى الجزء الأكبر من جيشه فى كفر الدوار ولو استطاع أن يجعل انجلترا تمتنع عن استخدام القناه لعملياتها العسكريه على أساس احترامه لحياد القناه فأنه يتفادى تقسيم جيشه،ويحصر الحرب فى منطقه واحده تتحصن فيها قواته وتتمركز فيها .[1]

وعلى كل حال فقد حافظ عرابى على تعهده ،ولم يخرق هذا التعهد حتى عندما خرق الانجليز حياد القناه،فلما بدأت البحريه الانجليزيه تحوم نحو القناه طالب عرابى دلسبس بوقف أعمال الانجليز الاستفزازيه موضحاً أن رجاله ما زالوا على عهدهم تجاه حياد القناه وحريه المرور فيها[2] .

وكان رد دلسبس على ذلك أن أبرق الى عرابى يقول :أنه من المستحيل أن تمر العساكر الانجليزيه فى القناه ، وأنه سيمنع ذلك بكل قوه[3] ، وانخدع عرابى بهذه البرقيه ،ولم يستمع الى نصائح زملائه الذين أكدوا له أن دلسبس يغرر به.

ولما جعل الانجليز من منطقه القناه ميدان حرب ، ومنعوا مرور السفن غير الانجليزيه من جهة بور سعيد و السويس ،أبرق عرابى الى دلسبس موضحاً أن فى ذلك خرقاً لحياد القناه المتفق عليه [4] وأن قواته على استعداد لردم القناه ، أو تعطيلها ،اذا تطور الموقف أكثر من ذلك طلب منه دلسبس عدم التسرع ،و قدم احتجاجاً على خرق الانجليز لحياد القناه موضحاً احترام عرابى لهذا الحياد . كما حث دلسبس الحكومه الفرنسيه على أن تبذل كل ما فى وسعها من أجل عدم اقتحام الانجليز للقناه موضحاً أن العرابيين يطلبون حمايه دوليه للقناه حتى لا يجرؤ أحد على مهاجمتها ، وقد ناشد الانجليز عدم خرق حياد القناه [5] ، وانتظار ما يسفر عنه مؤتمر الأستانه المنعقد بشأن ايجاد حل للمسأله المصريه من قرارات[6]، ومطالبة اياهم بالالتزام بالمادة الرابعة عشرة من عقد امتياز القناة المؤرخ فى ٥ يناير ١٨٥٦ والتى نصت صراحة على حياد القناة ، وعلى أنها مفتوحة دائماً فى وقت السلم وفى وقت الحرب كممر

---

[1] د.مصطفى الحفناوى:قناه السويس ومشكلاتها المعاصره . الجزء الثالث حريه الملاحه فى القناه،القاهره ـ النهضه المصريه ،ص١٨٢ .

[2] محمد رشيد رضا :تاريخ الأستاذ الامام،جـ ١ ص ٢٥٧.
وأيضاً محافظ الثوره العرابيه : محفظه رقم (٣) ملف ٤١ تلغراف من وكيل الجهاديه الى ناظر الجهاديه والبحريه .

[3] محمد رشيد رضا:المرجع السابق، جـ ١ ص ٢٥٧ .

[4] محافظ الثوره العرابيه: محفظه رقم (٨) ملف٥٣/د/٧ تلغراف من ناظرالجهاديه و البحريه بكفر الدوار الى جناب المسيو دلسبس بالاسماعيليه بتاريخ ١٩ أغسطس ١٨٨٢.

[5] د أحمد عبد الرحيم مصطفى :مشكله قناه السويس ١٨٥٤ـ ١٩٥٨.القاهره ـمعهد البحوث والدرا سات العربيه ١٩٧٦،ص ٣٠ .

[6] حضر هذا المؤتمر ممثلون عن ألمانيا و النمسا وبريطانيا وايطاليا و روسيا ، واشتركت فيه تركيا بعد ذلك وقد وجه هذا المؤتمر عنايته لمنع التدخل المنفرد فى شئون مصر من جانب اى دولة ، كمال اشار الى ضرورة ان تشكل الدول هيئة بحرية لوضع التدابير اللازمة للمحافظة على القناة ، ولكن الانجليز ضربوا بكل هذا عرض الحائط .

على الحياد لكل مركب تجارية تمر من البحر المتوسط الى البحر الأحمر أو العكس بدون اى تميز أو تخصيص أو تفضيل لأى شخص أو لأى جنسية [١] .

وكان رد الحكومة الانجليزية على ذلك أن تعللت بأن العرابيين يقومون بترميمات فى طابية الجميل على مدخل المنزلة غربى بورسعيد ، وأنهم يهددون الملاحة فى القناة ، وقد يصل الأمر بهم الى اغلاقها ، وان الواجب يقتضى قيامهم بحماية القناة منهم ، واستندوا فى ذلك الى موافقة الخديو لهم على الترخيص بإحتلال أى نقطة فى القناة يتمكن العرابيون بواسطتها من عرقلة حرية التجارة أو من التمكين لأنفسهم فيها[٢].

ولما حرك عرابى جنوده ناحية القناة أرسل اليه دلسبس يقول : لا تتسرع فى شئ يمس القناة ، وأنه لا يمر عسكرى انجليزى الا ومعه جندى فرنسى ، وأنه مسئول عن كل ما قد يحدث[٣].

وقبل ان يتحرك الجيش المصرى ناحية القناة أسرعت انجلترا فى جعل هذه المنطقة ميدانا لعملياتها العسكرية ضد مصر ، فاحتلت موانى بور سعيد والاسماعيلية والسويس .

وبالرغم من اعتراض الرأى العام الفرنسى على اقتحام القوات الانجليزية للقناة فان الحكومات الأوربية استقبلت فى معظمها هذا النبأ بهدوء ، ولم تسفر الاجراءات الدبلوماسية عن شئ يذكر[٤] خصوصاً وان الخديو كان قد أصدر أمراً فى ١٤ أغسطس ١٨٨٢ الى السلطات المدنية والعسكرية المصرية فى القناة يوضح فيه أن اميرال الأسطول الانجليزى والقائد العام للقوات البريطانية انما قدما الى مصر لاعادة الأمن والنظام فيها ، وان لهم الحق فى احتلال جميع الأماكن التى يريان فى احتلالها ما يساعد على قمع تمرد العرابيين .

وعلى الرغم من استناد الانجليز الى هذا الأمر فى جعل احتلالهم للقناة يأخذ صفة الشرعية فاننا نرى أن هذا التصريح ليس له سند قانونى نظراً لأن سلطة الخديو كانت مقيدة بحق السيادة الذى يملكه السلطان العثمانى وبالامتيازات التى تحددت للشركة من قبل ، لذلك فهو لا يملك أن يوكل مهمة اقرار الأمور فى القناة لأى دولة أجنبية .

وهكذا كان اعتماد عرابى على وعود دلسبس خطأ قادحا أدى الى ضياع استقلال مصر وفتح الباب لاحتلالها .

حقيقة أن ذلك لم يكن السبب الوحيد لنجاح الزحف الأنجليزى على مصر ، ولكنه كان أحد الأسباب الرنيسية التى سهلت دخول الأنجليز الى البلاد ، وهزيمة الجيش المصرى فى معركة غير متكافئة ، فلو كان عرابى قد سد القناة قبل مرور السفن الأنجليزية كما نصحه بذلك رفاقه ومستشاروه لصعب على الانجليز الزحف على مصر من طريق الاسماعيلية ، ولعدلوا عن زحفهم من هذا الطريق الى طريق أكثر وعورة حيث كان لا بد لهم من اختراق الدلتا ، وهى

---

[١] د . راشد البراوى : مجموعة الوثائق السياسية . الجزء الأول ـ المركز الدولى لمصر والسودان وقناة السويس . القاهرة ـ النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ١٩٥٢ .

[٢] دار الوثائق القومية : محافظ الثورة العرابية . محفظة رقم ٤١ ملف ٣/٦ ، وثيقة رقم ١٣٢٥ ، صورة أمر عال الى أميرال وقومندان الأسطول الانجليزى ببورسعيد .

[٣] محمد رشيد رضا: المرجع السابق ، ص ٢٥٧.

[٤] احمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٣٢.

منطقة تغطيها المياه عادة في فصل الصيف بسبب فيضان النيل ، مما يعيق تقدم القوات الغازية ويتيح للبلاد الوقت الكافي لتنظيم حركة المقاومة ضدهم [١] ، وقد يبدو ذلك واضحاً فيما اعترف به القائد الأنجليزي "ولزلي" أنه لو أغلق عرابي القناة لتعثر زحفهم على مصر واكتفوا بضربها من البحر[٢] .

وعلى كل حال فيجدر بنا هنا أن نصحح معلومة رددها البعض ، وهي أن دلسبس غرر بعرابي حتى يتيح للانجليز احتلال مصر ، فالواقع أن دلسبس كان من أشد الداعين لفكرة حياد القناة ، كما كان يرى أن الطريقة المثلى لحماية قناة السويس تكمن في جعلها تحت حماية الدول الكبرى ، ولم يكن يرغب في استيلاء الانجليز عليها ، واذا كان قد غرر بعرابي فذلك يرجع الى رغبته في تفويت الفرصة عليه في ردم القناة التي يرتبط اسمه بوجودها ، ولم يكن يرد اقتحام الانجليز لها بل كان يرغب في ضمان حيادها خصوصاً وأنه حاول حث الحكومة الفرنسية على أن تبذل ما في وسعها من أجل ذلك على أساس أنه ليس لأي دولة الحق في انزال قواتها بالقناة ، وفعلاً ناشدت الحكومة الفرنسية الأنجليز بعدم التعجل في مواقفهم [٣] ، يضاف إلى ذلك أن دلسبس طلب من الدول الكبرى أن ترسل كل واحدة منها سفينة حربية لمنطقة القناة لحماية حيادها ، واحتج على تصرفات انجلترا تجاه القناة ، وأوضح أنه ليس للخديو الحق في السماح للانجليز بكسر حيادها ، وأن الشركة لا تقبل الاعتداء على هذا الحياد ، وتعلن معارضتها للأعمال التي تستند الى ادعاءات سياسية غير مشروعة[٤] .

ونتيجة لذلك عرضت ايطاليا على مؤتمر الأستانة اقتراحاً مؤداه أن يتخذ المؤتمر ما من شأنه تأمين حرية المرور في قناة السويس وذلك بتعيين بوليس دولي تساهم فيه جميع الدول وتناط به مراقبة انتظام حركة المرور في القناة ، ولكن هذا المشروع ظل حبرا على ورق [٥] ، كما ذهبت احتجاجات دلسبس وغيره أدراج الرياح أمام قوة بريطانيا البحرية والبرية ، حيث تمكنت القوات البحرية البريطانية من اقتحام القناة بسهولة في ٢٦ يوليو١٨٨٢ ، واتخاذ الاسماعيلية قاعدة للزحف على الخط الشرقي للبلاد خصوصاً وأن معسكر التل الكبير كان لا يبعد عن الاسماعيلية أكثر من خمسين كيلومتراً ، ثم ما لبثت القوات البريطانية أن احتلت السويس في ٢ أغسطس ١٨٨٢ ، ثم احتلت بورسعيد في ٢٠ أغسطس من السنة نفسها ، واتخذت من مباني شركة القناة مركزاً لأعمالها الحربية[٦] .

وبعد فوات الأوان رأى العربيون ضرورة سد القناة ، فسدوا ترعة الاسماعيلية في نقطة "المجفر" غربي الاسماعيلية ليمنعوا وصول المياه العذبة الى القوات البريطانية ، ولكن الزحف الانجليزي السريع على هذه المنطقة واحتلالها قد حالا دون تحقيق أهدافهم ، ثم تابع الجيش

---

[١] عبد الرحمن الرافعي : الثورة العرابية والاحتلال الانجليزي . القاهرة ١٩٣٧ ، ص ٤٣٢ .
[٢] محمد رشيد رضا : المرجع السابق ، ص ٢٥٧ .
[٣] د . أحمد عبد الرحيم مصطفى : مصر والمسألة المصرية . القاهرة ــ دار المعارف ١٩٦٥ ، ص ٢٧٤ .
[٤] د . عبدالله رشوان : المركز الدولي لقناة السويس . القاهرة ١٩٥٠ ، ص ٤٤ .
[٥] د . مصطفى الحفناوي : المرجع السابق ، ص ١٨٤ .
[٦] نفسه .

الانجليزى تقدمه ونجح فى الاستيلاء على " المسخوطة " و " المحسمة " مما أدى الى تصدع الجبهة الشرقية ، وهزيمة الجيش المصرى الساحقة فى التل الكبير .

وقد استمر الانجليز فى تقدمهم حتى وصلوا الى القاهرة بحجة سحق العصيان العسكرى وحماية الخديو والمصالح الأوربية .

وهكذا كانت قناة السويس الطريق الذى أتاح لانجلترا احتلال مصر كما انها كانت سبباً فى زيادة النفوذ الأجنبى فيها .

مصادر البحـث

أولا : وثائق غير منشورة :.

دار الوثائق القومية بالقلعة : محافظ الثورة العرابية ، عددها (٤١ محفظة) المستخدم منها فى البحث محافظ رقم ٣ ، ٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ٤١ .

ثانيا : المصادر والمراجع العربية :.

١ ـ أحمد عبدالرحيم مصطفى (الدكتور) :

أ ــ مشكلة قناة السويس ١٨٥٤ ــ ١٩٥٨ . القاهرة ــ معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٧.

ب ـ مصر والمسألة المصرية . القاهرة ـ دار المعارف ١٩٦٥ .

٢ ـ راشد البراوى (الدكتور) :

مجموعة الوثائق السياسية الجزء الأول ـ المركز الدولى لمصر والسودان وقناة السويس . القاهرة ـ النهضة المصرية ١٩٥٢ .

٣ ـ عبدالله رشوان (الدكتور) :

المركز الدولى لقناة السويس . القاهرة ١٩٥٠ .

٤ ـ عبدالرحمن الرافعى :

الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى . القاهرة ١٩٣٧ .

٥ ـ عبدالمنعم ابراهيم الدسوقى الجميعى (الدكتور) :

الثورة العرابية فى ضوء الوثائق المصرية . القاهرة . مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ١٨٨٢.

٦ ـ محمد رشيد رضا :

تاريخ الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده . القاهرة ـ مطبعة المنار .

٧ ـ مصطفى الحفناوى (الدكتور) :

قناة السويس ومشكلاتها المعاصرة . الجزء الثالث ـ حرية الملاحة فى القناة .القاهرة ــ النهضة المصرية .

ثالثاً: المصادر الأجنبية :.

Blunt, W.S.

Secret History of the English Occupation of Egypt , London.

رابعاً: الدوريات :.

المجلة التاريخية المصرية . المجلد السادس ١٩٥٧.

خامساً: الرسائل العلمية:.

زين العابدين شمس الدين :

بورسعيد : تاريخها وتطورها ١٨٥٩-١٨٨٢ .

رسالة ماجيستير غير منشورة ، نوقشت بآداب عين شمس ١٩٨٢ .



مصطفى كامل

٤ ـ عشق المرحوم مصطفى كامل واسماء عشيقاته
(عرض لكتاب)

يبدو لمن يقرأ عنوان هذا الكتاب أن مصطفى كامل كان عاشقا كما يُظن من كلمات العنوان وأنه لم تكن له عشيقة واحدة بل كانت له عشيقات كثيرات ولعل الدافع إلى هذا الظن تلك اللغة الرمزية التى استخدمها مؤلف هذا الكتاب لجذب وأسر انتباه القارئ .

إن من يمعن النظر فى هذا الكتاب يجد أن عشيقات مصطفى كامل لم يكُنَّ من بنات حواء ؟

حقيقة لقد عشق هذا الزعيم الوطنى الرومانسى عزيزة التى كانت تكبره سنا ، وأحبها ، وطلب يدها من اهلها ، وأفنى حياته فى سبيلها هذا على الرغم من اعتراض بعض أهلها على اقترانها به . ونكرر ان مصطفى كامل عشق عزيزة ونحن ـ المصريين ـ كذلك نعشق عزيزة كما عشقها مصطفى كامل . حقاً فمن منا لايعشق عزيزتنا مصر ؟

وإذا كان عنوان الكتاب مثيرا ، فقد ازداد اثارة عندما لم يضع المؤلف اسمه عليه بل رمز إلى نفسه بالحرفين أ . ف وهذا كان مدعاة إلى الحيرة واثارة الدهشة لدينا ، هذا بالاضافة إلى أن الكاتب استعمل الرمزية فى الاشارة إلى محبوبات مصطفى كامل الأخريات وزيادة فى اثارة القارئ وضع المؤلف على صفحة الغلاف مأثورة شهيرة نصها " من عشق فعف ثم مات مات شهيداً " موضحا انها حديث شريف [١] .

ولعل سر اختفاء هذا الكتاب فى دور الكتب والمكتبات المصرية هو عنوانه المثير فعلى الرغم من أن طباعته تمت فى مطبعة المعارف بمصر فى فبراير ١٩٠٨ أى منذ حوالى تسعين عاما ، وعلى الرغم من أن المؤلفات التى كتبت عن مصطفى كامل معروفة فى مجملها لدى الباحثين والمؤرخين [٢] فالشئ اللافت للنظر أن أحدا من ابناء هذا الجيل لم يسمع عنه من قبل، ولم يُعرف أن هناك كتابا يحمل هذا الاسم حتى عثر عليه كاتب هذه السطور فى جامعة يوتا utah الأمريكية خلال تواجده فى مهمة علمية بالولايات المتحدة فى عام ١٩٨٣ . ومع ذلك فان هذا الكتاب لم يخرج إلى النور حتى الآن .

وفى هذا الكتاب الذى يعد من المصادر الهامة فى دراسة تلك الفترة المثيرة للجدل تجلو صفحات هامة من تاريخ النضال المصرى ضد الاحتلال فى فترة من أصعب الفترات وأحفلها بالحوادث الكبرى التى مرت بها مصر هذا بالاضافة إلى أنه غنى بالمعلومات والأدلة التى

---

[١] ذكر ابن القيم فى كتابه " المنار المنيف فى الصحيح والضعيف " تحقيق عبدالفتاح أبو غدة ص ١٤٠ أن هذا الحديث موضوع على الرسول صلى الله عليه وسلم .

[٢] حول هذه المؤلفات يمكن الرجوع الى الندوة التى اقامتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية فى نوفمبر ١٩٧٤ بمناسبة ذكرى مرور مئة عام على ميلاد الزعيم الوطنى مصطفى كامل

تهدى شباب هذا الجيل الى سيرة هذا الزعيم المصرى الذى جاهد فى سبيل اعادة روح الأمل بين المصريين بعد نكبة الاحتلال ، وكانت وطنيته الوثابة إحدى ظواهر حياته وفى كل حركة من حركاته ، وكل خاطرة من خطرات نفسه ، فكانت حياته هى الوطنيه ، كما كانت الشعلة التى انبثق نورها فى ارجاء مصر فأضاءت النفوس ، وأحيت فيها الشعور الوطنى ، وحفزتها إلى الحياة الحرة الكريمة والجهاد فى سبيل الوطن .

وعلى الرغم من أن مؤلف الكتاب قد رفض الافصاح عن اسمه مما قد يثير الريبة فى نفوس من يطلع على فحواه ، فان هذا الكتاب يعد بانوراما لانجازات مصطفى كامل ودوره المهم فى الدفاع عن القضية المصرية خاصة وانه استنطق الحوادث والوقائع التاريخية بشكل تتدفق فيه العاطفة والحماسة نحو هذا الزعيم ، فكان بذلك درسا فى الوطنية ، وتصويرا حيا لنضاله ومدرسة للأخلاق الفاضلة .

حقيقة أن المؤلف قد مالت به العاطفة المتدفقة فى كثير من الأحيان نحو هذا الزعيم مما جعل اسم مصطفى كامل يلصق به بعض الكلمات التى لانذكرها إلا عندما نردد اسماء الصحابة والتابعين مثل (رضى الله عنه [١] ـ الشهيد [٢]) وهذا لايقلل من قيمة الكتاب خاصة وان صاحبه استهدف فى مواقف كثيرة ابراز الحق ، والى جانب ذلك فانه يتضح فى كثير من مواضع هذا الكتاب حسن التصوير ، وجمال العرض التاريخى وتبدو هذه الناحية بوضوح فى الصفحات التى تكلم فيها عن نشأة مصطفى كامل وكيف كانت حياته الأولى فقد كتب عن مصطفى كامل منذ ولادته فى ١٤ اغسطس ١٨٧٤ فى حارة درب الميضة بقسم الخليفة فى مدينة القاهرة ، وأن نشأته كانت كنشأة آلاف مثله من ابناء الأسر المصرية حيث استقدم والده الاساتذة من أجل تهذيبه وتلقينه مبادئ القراءة والكتابة ، ثم أدخله مدرسة والدة المرحوم عباس باشا الأول فأخذ فى تعلم الدروس الابتدائية وقبل أن يتم ذلك انتقل والده إلى دار البقاء فكفله شقيقه حسين واصف بك مفتش رى الفيوم فقام على أمر تربيته وادخله مدرسة القربية حيث حاز فيها السبق على أقرانه ثم التحق بالمدرسة التجهيزية وكان يومئذ فى الحادية عشرة من عمره حيث كان يضطرم فى فؤاده حب الوطن ، ونار الوطنية ، وبعد أن أنهى دروسه الثانوية التحق بمدرسة الحقوق .

ويتحدث المؤلف عن حياة مصطفى كامل العملية ابتداءً من دخوله مدرسة الحقوق الخديوية وانتظامه أيضا بمدرسة الحقوق الفرنساوية الليلية فكان فى مدرستين فى عمر واحد . هذا إلى جانب دخوله فى العديد من الجمعيات الأدبية والسياسية مثل جمعيات الهدى والاستقامة والتعاون والاعتدال وقيامه بالخطابة فى هذه الجمعيات بشكل خلب العقول بفصاحته ولباقته . يضاف إلى ذلك أنه كان يكتب فى الجرائد والمجلات العربية والافرنجية كالأهرام والمؤيد وغيرها وتأليفه لرواية الأندلس ، وكتابه " أعجب ما كان فى الرق عند الرومان " كل ذلك كان مضافا إلى تحريره مجلة المدرسة التى جعل شعارها " حبك مدرستك حبك أهلك ووطنك " ، وانشائه اللواء الذى درب على دف الوطنية أدوارا حماسية جميلة اصغى لها الناس ، وتهافتوا على سماعها مما بعث فى الصحافة المصرية روح التجديد والنشاط . ولم يكتف مصطفى كامل

---

[١] انظر على سبيل المثال صفحات ١٠، ١٣ من الكتاب
[٢] انظر على سبيل المثال صفحات ٥ ، ١٥١ من الكتاب

باصدار اللواء اليومى بل أصدر بجانبه مجلة اللواء الشهرية ثم جريدة العالم الاسلامى . وبلغت مقدرته الصحفية أوجها حين أصدر جريدتى ليتندار اجبسيان و ذى اجيبشيان ستاندرد اليومتين[1] لتعبر عن رغائب المصريين ، وتفضح أعمال الاحتلال بلغة يفهمها الأوربى ، وإلى جانب ذلك فقد أسس الحزب الوطنى ، ودعا الأمة إلى الانضمام إليه بقوله : "ندعوهم باسم وطنيتهم ، وباسم شرفهم ، وباسم حقوق وطنهم ، وباسم كرامة الإنسان [2] ...." ونتيجة لذلك انهالت طلبات الانضمام إلى هذا الحزب من كل جانب وتم عقد أول جمعية للحزب فى ٢٧ ديسمبر ١٩٠٧ بدار اللواء .

وبعد أن استعرض مؤلف الكتاب حياة مصطفى كامل وكفاحه من أجل مصر أخذ فى التعرض لعشيقاته فرمز إلى مصر بعزيزة بنت الأكابر وسلالة الأماجد والتى عرف الفقر والتيتم وتعاسة الحظ طريقه إليها والتى اشتهر حب مصطفى لها منذ صغره وذاع غرامه وهيامه بها بين أقرانه وكان حبه لها كالشمس التى تبعث إلى عقله نورا فيضئ ذكاءً ، وإلى رأسه حرارة فيشتعل نشاطاً ، وكان حبه لها سبب سعادته ، وفوزه وأصل كل ثباته ومواصلته الجد والاجتهاد [3] .

وعلى الرغم من هذا الحب الكبير ، وتعلق مصطفى بعزيزته مصر فقد فضَّل بعض أهلها الأجنبى ـ الذى رمز إليه الكاتب بفيكتور ـــ عليه ورفضوا تزويجها منه بحجة أنهم ارتبطوا مع هذا الأجنبى بتزويجها له .

وقد استغل الكاتب براعته فى تلمس الخيوط التى حاكها فى وصفه لعزيزة ومدى هيامها بمصطفى كامل فتعرض للبيئة المصرية وتقاليد الشعب المصرى فى ذلك الوقت فأوضح أن البنت كانت كالمتاع يتصرف فيها أهلها بمشيئتهم وليس لها أن تبدى رغبة فى زوج أو ميلا إلى شاب [4] بل كانت تقاد إلى الزوج دون أن يكون لها حق الاستشارة أو ابداء الرأى على الرغم من أن الشرائع السماوية تعطى للفتيات حق إبداء الرأى فى موضوع الخطبة والزواج[5] ونتيجة لذلك أذعنت عزيزة لرغبة أهلها خاصة وأنهم كانوا مكبلين بالديون لهذا الأجنبى . وعلى الرغم من ذلك فإن مصطفى كامل لم يستسلم للأمر الواقع بل دافع عن عزيزته وجاهد من أجل إنقاذها من يد هذا المغتصب كما استمر فى إقناع أهل عزيزة برفض هذه الزيجة ، وعزم على تعريض نفسه للأخطار من أجل إنقاذها من الظلم الواقع عليها بقوله لها : " أنت الحياة ولا حياة إلا بك يا عزيزة ، فكيف لا أحب حياتى . ثقى أننى سعيد جدا بهذا الحب . لم أحبك باختيارى يا عزيزة ، ولكن على الرغم عنى [6] ".

---

[1] للتفاصيل انظر عبدالرحمن الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، القاهرة ، النهضة المصرية ١٩٦٢ ص ٤٤٠ وما بعدها .

[2] الرافعى : مرجع سابق ص ٢٦٦ .

[3] عشق مصطفى كامل ص ٤٠ .

[4] نفسه ص ٤٩ .

[5] نفسه ص ٧٦

[6] نفسه ص ٧٠

وحتى ينقذ مصطفى كامل عزيزته ويرفع من شأنها حتى تتمكن من معرفة حقوقها ، وترفع براثن الجهل والتخلف الذى كان معشعشا حول عقلها بدأ فى تعليمها القراءة والكتابة بعد أن منعها أهلها من ذلك بحجة أن وظيفة البنات هى الاعتكاف فى زوايا المنازل ، وأن العلم للرجال فقط ، والمدارس للأولاد دون البنات [١] . وبمعاونته تمكنت عزيزة من تعلم القراءة والكتابة بكل سهولة كما تعلمت اللغة الفرنسية ، وصارت تساعد مصطفى كامل فى أعماله الكتابية [٢] .

وحتى يتلقن أبناء مصر العلم مثل عزيزة وتنقشع عن عقولهم براثن الجهل أنشأ مصطفى كامل المدرسة المعروفة باسمه بسراى السلحدار بحارة مرجوش فى ١٧ مارس ١٨٩٩، وجعل التعليم فيها على أساس عصرى ، يتم فيه توجيه النشء الجديد إلى التربية القومية التى تغرس فى نفوسهم الفضائل الوطنية والدينية [٣] .

وعلى الرغم من حب مصطفى كامل لعزيزته فقد أوضح المؤلف ان هذا الحب الطاهر العفيف لم يكن القصد منه الاقتران بها لأنها أعز لديه من زوجة ، وأقدس فى فؤاده من قرينه، بل غاية فؤاده أن تكون خالصة ممن تكرهه ، وأن يقوم هو على خدمتها حتى تصل إلى غايتها الأولى وهى الاستقلال خاصة وأن "الحياة عدم فى الأسر ، والحرية أسر فى الاحتلال ، والاحتلال عار على الرجال[٤] " والرجال لا يصح لهم أن يرضوا بالعار .

لقد أحب مصطفى كامل محبوبته مصر حبا خالصا لايشوبه التفكير فى انتفاع أو فى مصلحة ، ووضع فى اعتباره هدفاً واحدا وهو الجلاء ، وعدوا واحدا هو الاحتلال لذلك كان عليه أن يتعاون مع كل القوى الداخلية والخارجية المعارضة للاحتلال [٥] وهذه القوى كانت عشيقات مصطفى كامل الأخريات كما ذكرها المؤلف .

وبالنسبة لعشيقة مصطفى كامل الثانية والتى كانت تقيم بشارع عابدين فكانت الأريكة الخديوية [٦] ففى أوقات كثيرة تعلق مصطفى كامل بالعرش الخديوى ، وحول القلوب إلى محبته رغبة فى إنقاذ مصر من الاحتلال بعد أن تعلم من أستاذه عبدالله النديم خطيب الثورة العرابية أن اصطدام العرابيين بالخديو توفيق قد مكن الدسانس الإنجليزية من أن توقع الفتنة والانقسام فى مصر ، ومن هنا سلك بالحركة الوطنية سبيل التفاهم مع الخديو عباس الثانى ، وتفادى الاصطدام به [٧] وتعاون معه خاصة فى السنوات الأولى من حكمه ، ونتيجة لذلك ساند الخديو الحركة الوطنية بنفوذه المادى والأدبى ، كما اقترح مصطفى كامل فكرة الاحتفال بعيد جلوس الخديو ، وكان أول الداعين لإقامة احتفال بحديقة الأزبكية بهذه المناسبة فى الثامن من يناير ١٨٩٣ حيث خطب خطبة كان لها تأثير كبير على الأفئدة [٨] .

---

[١] نفسه ص ٢٤ .
[٢] نفسه ص ١٠٢ .
[٣] الرافعى : مرجع سابق ص ١٤١ ـ ١٤٢ ، وعشق مصطفى كامل ص ١٣٠
[٤] عشق مصطفى كامل ص ٩١ .
[٥] محمد أنيس : صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل ، القاهرة ، الانجلو المصرية ، ١٩٦٢ ص١٣ .
[٦] عشق مصطفى كامل ص ١٤٠ .
[٧] الرافعى : مرجع سابق ص ٣٨ .
[٨] عشق مصطفى كامل ص ٨١ .

وإذا جاز للحبيب أن يختلف مع حبيبته فإن مصطفى كامل لم يقف بجانب الخديو على طول الخط ، كما اعترى الفتور علاقتهما فى بعض الأحيان خاصة بعد مقابلة ديفون فى أغسطس ١٩٠٤ (١) وعندما فكر الخديو فى مهادنة الاحتلال عارضه مصطفى كامل مما يعنى أن الخديوية عند مصطفى كامل كانت أداة من أدوات الكفاح لاغاية ، وأن مصطفى كامل اتخذ من الخديو وسيلة لتوحيد الأمة المصرية على مقاومة الاحتلال ، خاصة وأن الحركة الوطنية كانت أضعف من أن تقف بمفردها فى معركتها الشرسة ضد الاحتلال .

وعن عشيقة مصطفى كامل الثالثة فكانت القسطنطينية مقر السلطنة العثمانية وعاصمة الخلافة الإسلامية (٢) حيث ظهر هيامه بدار الخلافة ، ودافع عنها فى كتابه "المسئلة الشرقية"(٣) وفى مقالاته الرنانة بجرائد المؤيد والأهرام وبعض الجرائد الأوروبية .

وعلى الرغم من ذكر المؤلف ان حب مصطفى كامل للدولة العلية كان مماثلا لحبه لمصر ، وأن عشقه للعرش الحميدى كان مشابها لعشقه للأريكة الخديوية العباسية ، وأن ميله إلى المسلمين خصوصا والشرقيين عموما كان مساويا لميله إلى المصريين فإن استخدامه لفكرة الدعوة إلى الخلافة ، ودفاعه عن فكرة الجامعة الإسلامية كان سلاحه لمناوأة الاحتلال البريطانى ، وإحراج مركزه فى مصر من الناحية القانونية ، كما كان ورقة رابحة استغلها مصطفى كامل لإثارة الدول الأوربية ضد إنجلترا .

ومع أن البعض أساء تصوير خطة مصطفى كامل تجاه الدولة العثمانية على أنه من أنصار السيادة العثمانية على مصر ، فإن مصطفى عمل على تجنب الخلاف مع السلطان ، واعتبر أن ارتباط مصر بتركيا يعد أحسن احتجاج على استمرار الاحتلال ، وأنه من الحكمة توثيق الروابط الودية بين مصر وتركيا لكى يتخذ من موقف تركيا وسيلة لمقاومة الاحتلال واقامة الحجة عليه .

حقيقة لقد آمن مصطفى كامل فى أولى سنوات جهاده بالسيادة العثمانية ، ولكنه عدل عن تلك الموقف،واستبدل بسياسته التى كانت تركية الطابع إلى حد كبير إدراكاً وطنيا سليماً (٤) أمَّا عن عشيقة مصطفى كامل الرابعة فكانت باريس بلد النور والحرية(٥) والتى سافر إليها للتبحر فى الحقوق ، والتعمق فى علوم العصر ، وهناك تعرف بكبار الصحافيين وعظماء السياسيين ، وهناك حصل على شهادة الحقوق من تولوز ، وهناك استعان بفرنسا فى مقاومة الأحتلال حيث رفع باسمه إلى مجلس النواب الفرنسى فى ٤ يونيو ١٨٩٥ رسماً كبيراً يمثل مصر والاحتلال الإنجليزى بشكل يدل على توسل المصريين إلى فرنسا أن تساعدهم فى نيل حريتهم ، ورمز إلى مصر العزيزة بغادة فقيرة عارية من كل ملابسها إلا ما يستر عورتها مكبلة بسلاسل الأسر وأغلال الظلم والأستبعاد ، والأسد البريطانى قابض على هذه القيود ، وعلى يسار تلك الصورة ترى النيل وقد مثل بشيخ من شيوخ الأعصر الخالية متكئ على إناء تنفجر منه عيون النيل(٦) .

---

(١) اللواء عدد ٢٥ اكتوبر ١٩٠٤ .
(٢) عشق مصطفى ص ١٥٠ .
(٣) طبع فى عام ١٨٩٨ بالقاهرة ، ونشرته مكتبة الآداب .
(٤) المصرى : مذكرات الخديو عباس الثانى فى ١٤ مايو ١٩٥١ .
(٥) عشق مصطفى كامل ص ١٥٠ .
(٦) نفسه ص ١١٢ .

وأغاني وساعده على ذلك أسلوبه الوجداني الذى اعتمد على الجمل الضخمة التي رددتها الجماهير " لامعنى للحياة مع اليأس ولامعنى لليأس مع الحياة " "بلادى بلادى ، لك حبى وفؤادى لك حياتى ووجودى ، لك دمى ونفسى ، لك عقلى ولسانى ، لك لبى وجنانى فأنت أنت الحياة ولاحياة بدونك يا مصر " .

بهذا الأسلوب الوجداني ، وبهذه القوة الخطابية خاطب مصطفى كامل شعور الشبيبة المصرية ، واستنهض همتهم يضاف إلى ذلك ما كان يكتبه من مقالات تتقد بالوطنية بكل ذلك استطاع مصطفى كامل أن ينهض بأعباء دعوته متقدماً إلى الأمام رافعا علم النهضة ، ومرددا نشيد الأمل بصوت تهتز له الأفئدة حتى لقد وصفه لطفى السيد بأن شعاره الوطنية ، وغرضه الوطنية ، وكلماته الوطنية ، وحياته الوطنية حتى لبسها ولبسته فصار بينهما تلازم مستمر فى كافة المواقف .

وهكذا مضى مصطفى كامل فى جهاده ، يتقدم الصفوف ويجود بحياته من أجل العزيزة مصر حتى صعدت روحه إلى دار البقاء . رحم الله هذا الزعيم وأدخله فسيح جناته .



حمد الباسل ودوره في الحركة الوطنية

٥ ـ حمد الباسل ودوره فى الحركة الوطنية [١]

تفخر البلاد دائما بأبنائها البررة ، وتتبارى المدن والقرى والنجوع فى الاعتزاز بالشخصيات الوطنية التى نبتت على أرضها ، ثم سطعت على مسرح الأحداث ، وكافحت من أجل وطنها ، ودافعت عن حريته واستقلاله وطالبت بحقوقه ، وعملت على رفعته ونيل آماله .

وفى الفيوم أسماء لامعة برزت فى تاريخ مصر الحديث ، واشتركت فى أحداثه ، وأهم هذه الأسماء حمد باشا الباسل ابن الفيوم الذى شارك سعد زغلول فى كفاحه ، ونفيه إلى مالطة، وتعرض للاضطهاد والتشريد ، كما سافر إلى باريس لحضور مؤتمر الصلح والدفاع عن القضية المصرية .

ولد حمد بن محمود محمد الباسل فى عام ١٨٧١ [٢] ونشا نشأة بدوية اكتسب خلالها كل ما اتسم به البدويون فى اخلاقهم وعاداتهم من حيث الشهامة والصرامة وعلو الهمة ، ونظرتهم البسيطة إلى الحياة التى ليس فيها كلفة ولاتعقيد [٣] . ومع أن حمدا لم يذهب إلى المدارس الحكومية ، فقد تلقى العلم على أساتذة علموه له فى المنزل . وبعد أن شب عوده تولى عمودية قبيلة الرماح بالفيوم خلفا لوالده محمود الباسل وكان عمره وقتئذ لايتجاوز التسع سنوات ، وذلك لما لمسه فيه أهل القبيلة من رجولة مبكرة ، وحسن تصرف . وقد وافقت الحكومة كما وافق الخديو توفيق على تعيينه فى هذا المنصب على الرغم من صغر سنه مكافأة على ما قام به والده من خدمات للحكومة [٤] ومنذ ذلك الوقت أخذت شخصية حمد الباسل فى البروز على الساحة فتحمل مسئولية إدارة شئون قبيلته من أوسع أبوابها ، واستطاع جمع شملها بعد أن كان مشتتا ، كما برز دوره خارج حدود قبيلته خاصة بعد أن عين فى لجنة النفى الادارى ، وفى لجنة تعداد العربان بمديرية الفيوم فى عام ١٩٠٩ هذا بالاضافة إلى تعيينه عضوا فى مجلس مديرية الفيوم [٥] وزاد من حب الناس له أنه كان جوادا كريما لاتفرغ الموائد بمنزله لدرجة أنه استخدم طاهيا لم يمض فى عمله شهرا واحدا حتى قدم استقالته بحجة أنه جاء ليعمل عنده طاهيا لأسرة ، وليس لأمة بحالها .[٦]

ومع تطور الحياة السياسية فى مصر ، ونمو نضج حمد الباسل السياسى واكتماله بدأ يتطلع لمزاولة السياسة واحترافها فنزح إلى القاهرة حيث التحق بالجمعية التشريعية فى عام

---

(١) قدم هذا البحث لمؤتمر الفيوم عبر العصور الذى عقد بكلية التربية عام ١٩٩٥ م .

(٢) بعد أن ترك أفراد قبيلة الرماح التى ينتمى اليها حمد الفيوم فرارا من وجه القوات التى أرسلها سعيد باشا لتأديبهم بعد تمردهم عليه ، وقبضه على مجموعة منهم واعدامهم وكان منهم رحيم الباسل استقر من تبقى منهم فى بلدة قلين بمركز كفر الشيخ حيث ولد حمد بقرية الباسل التابعة لهذه البلدة . وبعد أن عفا الوالى عنهم عادوا إلى الفيوم وكان حمد لايزال صغيرا .

زكى مجاهد : الأعلام الشرقية جـ١ ص ١٣٨ ، وأحمد عطية الله : القاموس الاسلامى جـ٢ ص ١٥٠

(٣) الهلال : مايو ١٩٣٠ ص ٧٨٩ مقال لحمد الباسل تحت عنوان "أهم حادث أثر فى مجرى حياتى"

(٤) الياس زاخورة : مرآة العصر فى تاريخ ورسوم أكابر الرجال بمصر جـ٢ ص ٣٣٣ .

(٥) الياس زاخورة : مرجع سابق جـ٢ ص ٣٣٣ .

(٦) روز اليوسف : العدد ٦٢٣ فى ١٧ فبراير ١٩٤٠ ص ١٦ .

١٩١٤ نائبا عن الفيوم ، وهناك تقابل مع سعد زغلول الذى كان نائبا فى ذلك الوقت عن السيدة زينب وبولاق وكان منزله مجاورا لمنزل حمد الباسل وحدث بينهما نوعا من الود والتآلف وتلاقى وجهات النظر ونتيجة لذلك انضم حمد الباسل رسميا إلى حزب الوفد فى ١٢ ديسمبر ١٩١٨ . وبعد أن توثقت صلة حمد الباسل بسعد الذى أصبح رمزا لآمال الأمة وقف بجانبه بكل جسارة لدرجة أن سعدا اختاره ليكون عضوا ضمن الوفد المصرى ، كما اختاره لكى يكون وكيلا للوفد .

وخلال ذلك تم الاتفاق بين سعد زغلول وحمد الباسل وعبدالعزيز فهمى، وعلى شعراوى أعضاء الجمعية التشريعية على ضرورة الذهاب إلى دار الحماية البريطانية لطلب الترخيص لهم بالسفر إلى لندن لعرض المطالب المصرية ، والذهاب إلى مؤتمر الصلح بباريس للمناداة باستقلال مصر .

ونتيجة لرفض الانجليز مشاركة المصريين فى مؤتمر الصلح ، وحرمانهم دون غيرهم من سماع صوتهم اجتمع زعماء الوفد فى حديقة منزل حمد الباسل بشارع الداخلية تجاه بيت الأمة على حفل شاى فى ١٣ يناير ١٩١٩ ، واتفقوا على دعوة أهل الرأى والمشورة من مختلف الطبقات ليخطب فيهم سعد زغلول خطبة سياسية [١] وخلال هذه الخطبة اقترح سعد إرسال برقية إلى الرئيس الامريكى ويلسون لتحيته والاعجاب بمبادئه ، وعرض القضية المصرية عليه فوافق الحاضرون ـ وكان عددهم مائة وخمسون شخصا ـ على ارسال البرقية بالاجماع . وفى أعقاب ذلك تم طبع آلاف النسخ من هذه الخطبة وتوزيعها على الأهالى فى العاصمة والأقاليم مما ضايق الانجليز ودفعهم إلى مراقبة منازل أعضاء الوفد ، وتضييق الخناق عليهم وعلى الرغم من ذلك فقد دفعت روح المجازفة والتحدى بالمصريين للمطالبة بحقوقهم فقام الوفد بتشكيل لجنتين من بين اعضائه لإعداد الوثائق والمستندات والمذكرات عن القضية المصرية لتقديمها إلى مؤتمر الصلح بباريس . وعندما علمت السلطات البريطانية بذلك جمعت أعضاء الوفد ، وحذرتهم من سوء العاقبة ، ومع ذلك لم تتزحزح افكارهم قيد أنملة بل طالبوا بالسفر إلى المؤتمر والمطالبة بحق مصر فى الاستقلال والحرية .

ونتيجة لذلك قبضت السلطات البريطانية على حمد الباسل فى الثامن من مارس ١٩١٩ ، كما قبضت على سعد زغلول ، ومحمد محمود واسماعيل صدقى ، وساقتهم إلى ثكنات قصر النيل ، ووضعت كل واحد منهم فى حجرة منفردة حيث قضوا الليل [٢] ثم نقلتهم إلى بورسعيد ومن هناك أقلتهم الباخرة إلى جزيرة مالطة حيث تم نفيهم [٣] مما كان له أكبر الأثر فى اندلاع شرارة الثورة التى اشترك فيها معظم فئات الشعب مطالبين بالافراج عن زعمائهم ، كما شمل الاضراب العام جميع مرافق البلاد ومما يذكر أنه حدث فى الفيوم صدام مسلح بين الأهالى والقوة البريطانية الموجودة بها كما قام عبدالستار الباسل شقيق حمد باشا بارسال مندوبيه إلى

---

[١] محمود كامل سليم : ثورة ١٩١٩ كما عشتها وعرفتها ، القاهرة ، مؤسسة أخبار اليوم ، العدد ٢٦٥ ، مايو ١٩٧٥ ص ٨٥ .
ومحمد على علوبة : ذكريات اجتماعية وسياسية ، والاهرام فى ١٤ يناير ١٩١٩ .

[٢] عباس محمود العقاد : سعد زغلول سيرة وتحية ، القاهرة ، دار الشروق ص ٢٠٩ .

[٣] محمود كامل سليم : مرجع سابق ص ١٠٥ .

ومصادرة ما به من أوراق ومستندات ، وفى أعقاب ذلك تم وضعه فى معتقل ثكنات قصر النيل حتى تمت محاكمته فى العاشر من اغسطس ١٩٢٢ ، وخلالها وقف حمد الباسل صامدا فى ثوبه العربى المهيب ، ولما طلب منه نائب الاحكام أن يتكلم أوضح حمد الباسل عدم اختصاص المحكمة العسكرية البريطانية فى محاكمته ، كما أنه لم يرتكب ذنبا يحاكم عليه ، ومع ذلك فقد طالب نائب الأحكام باعدامه وكان رد حمد الباسل على ذلك "تموت وتحيا مصر" وبعد أن اجتمع القضاة اصدروا حكمهم باعدام حمد الباسل وسته من زملائه وأرسل الحكم إلىالمندوب السامى البريطانى فوافق عليه وارسله إلى وزارة الخارجية البريطانية لاقراره ، ولكن مجلس الوزراء البريطانى رأى تعديل الحكم إلى السجن لمدة سبع سنوات وغرامة خمسة آلاف جنيه خاصة وأن حكم الاعدام على رجل له عصبية ونفوذ ساحق بين قومه قد يؤدى إلى ثورة قد لاتحمد عقباها .

وعلى الرغم من نقل حمد الباسل من معتقل المنيل إلى سجن مصر لتأدية فترة العقوبة المقررة عليه فان هياج الشعب ، والضغوط التى مورست من أجل اطلاق سراحه قد افلحت فى الافراج عنه التاسع والعشرين من يناير ١٩٢٣ .

وفى اعقاب ذلك ذاع صيت حمد الباسل ، وتم اختياره لعدة مناصب هامة بالاضافة الى منصبه كوكيل للوفد ، فاختير وكيلا لمجلس النواب فى عام ١٩٢٤ ، كما أعيد انتخابه نائبا عن أبوجندير فى عام ١٩٢٦ .

ونتيجة لوفاة سعد زغلول فى الثالث والعشرين من اغسطس ١٩٢٧ كثرت الانشقاقات بين صفوف الوفد ، مما ترتب عليه خروج حمد الباسل منه .

هذا عن دور حمد الباسل تجاه القضية المصرية أما عن دوره تجاه القضايا العربية فكان علما بين المشتغلين بها فقد دعا دائما إلى العمل على جمع شمل العرب وناصر عبدالرحمن عزام فى مواقفه تجاه الوحدة العربية وفكرة انشاء الجامعة العربية وإلى جانب ذلك فمما يحمد لحمد باشا قيامه باستقبال السنوسيين النازحين من ليبيا فرارا من بطش الاستعمال الايطالى ، ووقوفه بجانبهم ومنحهم المأوى والأرض والأمان ، وتبرعه ببعض أمواله لاعانة الدولة العثمانية خلال محاولتها طرد الايطاليين من ليبيا (١) .

يضاف الى ذلك أنه بعد استشهاد المناضل الليبى عمر المختار على يد الايطاليين ، وعلى الرغم من تشديد الحكومة فى ذلك الوقت بمنع أى احتفالات لتأبينه فقد أعد حمد الباسل سرادقا داخل منزله بسراى القبة ليكون مكانا لسماع القرآن الكريم وذكر مناقب هذا المجاهد الكبير (٢) ، وبالرغم من احاطة رجال الأمن بهذا السرادق وسد المنافذ المؤدية اليه لمنع الناس من دخوله فقد تمكن بعضهم من التسلل اليه وتقديم العزاء اللازم .

ومما يحمد لحمد باشا أيضا سفره إلى العراق على رأس وفد من مشايخ القبائل العربية لوأد الخلاف الذى كان قائما بين قبيلتى شمر وصخر وتمكنه من التوفيق بينهما بشكل أرضى

(١) الياس زاخورة : المرجع السابق جـ٢ ص ٣٣٤ .
(٢) الجهاد : العدد ٥٨ من السنة الأولى فى ١٣ نوفمبر ١٩٣١ .

الحكومة العراقية التى منحته نيشان الرافدين من الطبقة الثانية (مدنى) لنجاح وساطته فى هذا الصلح [١] .

وفى النهاية يمكن القول أن شخصية حمد الباسل كانت متعددة الجوانب فكان مثالا للوطنى الذى اجتمعت له كل صفات الوطنية من الاخلاص والصدق وأن وطنيته كانت متدفقة فكان شديد الغيرة لوطنه مناصرا لحريته جوادا كريما ، يضاف إلى ذلك أنه كان ولوعا بالعلم والأدب فكانت له أزجال وأشعار كما كان له العديد من الخطب المنشوره فى الصحف وكان واسع الفكر يجيد الحديث بالفرنسية والانجليزية والتركية ومن مؤلفاته كتاب نهج البداوة [٢] .

وظل حمد الباسل يؤدى دوره لخدمة بلاده حتى انتابته أزمة قلبية فى مساء الأحد الموافق التاسع من فبراير ١٩٤٠ أدت إلى وفاته فى منزله بالقاهرة ، فتم نقله إلى الفيوم حيث دفن بها [٣] وقد اناب الملك فاروق عنه مدير الفيوم فى تشييع الجنازة وتعزية آل الباسل ، كما أوفد على ماهر رئيس الوزراء مندوبا من قبله ، وسافر الدكتور احمد ماهر رئيس النواب ورئيس الهيئة السعدية للاشتراك فى الجنازة [٤] وبذلك اسدل الستار على حياة حمد باشا الباسل الذى أعطى أكثر مما أخذ ، وضحى من أجل استقلال بلاده مصر التى وضعها فوق كل اعتبار.

---

[١] المقطم : العدد ١٥٥٨٥ فى ١٩ سبتمبر ١٩٣٩ تحت عنوان " حمد الباسل باشا" والدستور فى ١٦ يونيو ١٩٣٩

[٢] للتفاصيل انظر زكى مجاهد : الأعلام الشرقية فى المائة الرابعة عشرة الهجرية جـ١ ص ١٣٨ ، والهلال جـ٥ لسنة ٤٨ ، والأهرام فى ١٩٤٠/٢/١٠ ، ومجلة كل شئ والعالم العدد ٢٠٠

[٣] الأهرام فى ١٩٤٠/٢/١٠

[٤] الدستور : العدد ٦٥٨ فى ١٠ فبراير ١٩٤٠

المجلس الأعلى للثقافة

نـدوة

محمد حسين هيـكل وجهود الاستـنـارة المصرية

اليوم الأول: السبت ١٤/١٢/١٩٩٦

الجلسات المسائية

الجلسة الرابعة: (هيكل والكتابة التاريخية) ٤,٣٠-٦,٣٠مساءً

رئيس الجلسة: يونان لبيب رزق

* عبدالمنعـــم الجميعـــــى مصر آثار هيكل السياسية.

٦ ـ آثار الدكتور محمد حسين هيكل السياسية [١]

النابهونَ الذين يسبقون عَصْرَهُم ، ولا يعيشونَ الحاضرَ بعقلِ الماضى قليلونَ فى كل جيلٍ وكل زمان ومكان وعظماءُ المفكرينَ الذين يُؤْثِرُون العيشَ فى خَلْوَتِهم بين أفكارهم وكتبهم معدودون والدكتور هيكل واحد من هؤلاء .

قال عنه المؤرخُ المصرىُ محمد شفيق غربال إنه " كان ممن وجهوا الرأىَ وخاضوا معاركَه ، وله فى الأدبِ والصحافةِ والسياسةِ آثارٌ باقيةٌ على الدهر" .

وقال عنه الدكتور طه حسين عميدُ الأدبِ العربى إنه "ذللَ القصة لكتابها ، وذلل السياسة الصحفية لكتابها ، وشارك زملاؤهُ ومعاصريه فى تذليل اللغة العربية وتمكينها من أن تكون ملكاً للذين يتكلمونها [٢] " .

لقد كان الدكتور هيكل موسوعيا متعدد المواهب ، كما كان لآثاره ودراساته مقامها المحمود بين كبار معاصريه ، فبالرغم من أن مجال دراسته التخصصى الذى حصل فيه على الدكتوراه كان القانون [٣] فإنه لم يحصر نفسه فيه بل كان سياسيا بين الساسة ، ومفكرا بارزا بين معاصريه وأديبا مرموقا بين أدباء عصره وكتابه ، ترك للعربية تراثا متميزا فى مجال الأدب الرفيع ونتيجة لذلك فإن آثاره شاركت فى تغيير وجه الحياة المصرية إلى حد كبير ، وأخذت على عاتقها مهمة التنوير العقلى وبخاصة أنها فتحت أبواب الإحتكام إلى العقل ، والتوفيق بين العلم والدين ، والإنتهال من منابع الفكر الأوروبى وحاولت التغلب على الحواجز والعقبات المتوارثة ، والمشاركة الفعالة فى حركة البعث والتنوير وإضاءة مشعل الفكر الليبرالى الحر [٤] .

ولما كانت دراستنا تقتصر على آثار الدكتور هيكل السياسية فإننا سنتعرض لها من خلال حياة وفكر صاحبها غير أنه يصعب الفصل بينهما لأن الدكتور هيكل عاصر فترة هامة من فترات الصراع السياسى والفكرى والاجتماعى فى مصر ، مشاركا فيها بقلمه وجهده .

لقد بدأت موهبة الكتابة عند الدكتور هيكل مبكرة منذ أن كان طالبا فكان فى تلك الأثناء يقضى أجازته الصيفيه فى قريته " كفر غنام " دقهلية ويصدر خلالها مجلة أسماها "الفضيلة"

---

(١) قدم هذا البحث لندوة محمد حسين هيكل وجهود الاستنارة المصرية التى عقدها المجلس الأعلى للثقافة فى الفترة من ١٤ - ١٦ ديسمبر ١٩٩٦ .

(٢) د. محمد مهدى علام : مجمع اللغة العربية فى ثلاثين عاما ـ المجمعيون ـ القاهرة ١٩٦٦ ص ١٧٠..

(٣) كان موضوع دراسته للدكتوراه عن "دين مصر العام" ، وحول تاريخ حياة هيكل كمثقف وسياسى أنظر رسالة شارلز دانيال شميث Charles Daniel التى حصل بها على الدكتوراة من جامعة Michigan وكانت بعنوان Muhammad Husayn Haykal : An Intellectual and Political Biography

(٤) أنظر على سبيل المثال ، السياسة الاسبوعية ، ملحق سبتمبر ١٩٣٣ تحت عنوان الشرق والغرب فى العصور الوسطى .

وكان يطبعها على البالوظة [١] ثم يوزعها على القراء فى قريته ، وفى القرى المجاورة [٢] . ولعل هذا الإتجاه الصحفى المبكر فى حياته شجعه على أن يكتب فى "الجريدة" التى أنشأها لطفى السيد وكانت لسان حال حزب الأمة .

وقد استمرت صلة هيكل بالجريدة قائمة حتى أثناء إقامته بباريس لدراسة الدكتوراه [٣] وخلال ذلك تولى هيكل كتابة المقالات السياسية بها وخاصة بعد انقطاع لطفى السيد عنها [٤] كما كانت له فى المقتطف [٥] والهلال والأهرام مقالات ذات طابع متميز عبر فيها عن تطلعات الشعب المصرى فى الحرية والاستقلال ففى الوقت الذى كان الشعب المصرى ينشد الحرية بإحساسه علمه هيكل فى مقالاته كيف ينشدها بعقله وفكره ، وكيف أنها تتلخص فى أن يفعل الإنسان ما شاء على ألا يتعدى على حرية غيره ، وكيف أن معناها الصحيح ينحصر فى أن يكون الكلام أداة الناس إلى التفاهم وإلى النضال ، وألا يلجأ الإنسان فى نضاله إلى غير السلاح الإنسانى وهو الكلام لأن ذلك هو غاية الحرية ، وأن الحرية تصبح كلمة يحترمها الناس ما لم تتعارض مع هواهم فإذا عارضت ذلك الهوى نزعت ثوب إنسانيتهم ، وإنقلبوا إلى حيوانات تناضل بالسلاح .

ومعنى ذلك أن الحرية الإنسانية فى نظر هيكل هى التى تجعل من الكلام أداة التعامل الإنسانى وإذا وصلت الإنسانية إلى هذا الإدراك لمعنى الحرية كان للحرية معناها الصحيح [٦].

وفى الوقت الذى لم يعرف فيه الناس معنى الديمقراطية شرح لهم هيكل فى إحدى مقالاته السبيل إليها وكيف أن الديمقراطية تلائم المزاج المصرى والطبيعة المصرية [٧] فأوضح أن الديمقراطية أساسها الحرية الفردية ، وأن الحرية هى أن يعمل الفرد جهد طاقته وأن يستمتع بنتائج عمله وأن إيمان الناس بالحرية يعنى إستعدادهم للتضحية فى سبيلها [٨] .

ومع ايمان هيكل بالحرية الفردية فقد كانت تنتابه لحظات ضيق عندما يتذكر حال الوطن وتعثر قضيته والوجود الأجنبى الجاسم على صدر بلاده فكان يتساءل فى ألم ما قيمة الحرية الفردية إذن والوطن يخضع لهذه المذلة ، وكبار رجالاته يعانون هذا الهوان [٩] .

كما تعرض هيكل لقدرة الرأى العام على حماية الديمقراطية فذكر أن الأمم القوية هى التى يحكم فيها الرأى العام على الحاكم والمحكوم جميعا ، وفيها تعتبر الحكومة وكيلة عن الشعب ، فإذا هى حادت عن حدود الوكالة حاسبها الشعب حسابا عسيرا وقام باسقاطها ، وأنه

---

[١] د. عبدالعزيز شرف : محمد حسين هيكل فى ذكراه ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٧٨ ص ١٨ .

[٢] مهدى علام : مرجع سابق ص ١٦٩ .

[٣] استمر إتصال هيكل بالجريدة حتى احتجبت عن الصدور فى عام ١٩١٥ .

[٤] من أبرز مقالاته التى كتبها عقب إعلان الحرب الأولى فى عام ١٩١٤ ست مقالات تحت عنوان "الحرب الحاضرة وآثارها" .

[٥] من أبرز مقالاته فى المقتطف ما كتبه فى عام ١٩١٧ من بحوث فلسفية عن القدرية والجبرية ، والتى تعد من الموضوعات الفلسفية العويصة التى شغلت فلاسفة الشرق والغرب معا .

[٦] الهلال : نوفمبر ١٩٣٦ ص ١١-١٤ مقال للدكتور هيكل بعنوان ـ الحرية ومدلولها الإنسانى " .

[٧] الهلال فى ديسمبر ١٩٢٥ .

[٨] السياسة فى ١٧ يناير ١٩٤٨ محاضرة الدكتور هيكل فى نادى الحزب تحت عنوان الديمقراطية والنظام البرلمانى .

[٩] هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية جـ٢ ص ١٧ .

فى الأمم القوية لايستطيع أحدٌ أن يعصف بالديمقراطية أما فى الأمم الضعيفة فإنها تعتبر الحاكم سيدالها لا وكيلا عنها [١] .

وفى الوقت الذى ترددت فيه الدعوة إلى إحياء التراث العربى وإلى بعث آثار السلف دعا هيكل فى مقال له إلى إحياء هذا التراث وبعثه بإعادة نشر ما فيه بلغة هذا العصر وإسلوبه على أن يتعاون المثقفون فى أنحاء الوطن العربى فى هذا الإحياء المثمر وإستند فى ذلك على قاعدة أساسية وهى أن من لاماضى له لا مستقبل له ، وأنه بالتعاون على إحياء التراث العربى نستطيع أن نخدم الحقيقة ونخدم الإنسانية ، ونخدم الشرق العربى بأن نخرجه من حالة الإعتماد على غيره ليبدأ عصرا جديدا هو عصر الحرية والنور والتضامن مع سائر الإنسانية فى سبيل خير الإنسانية [٢] .

وإلى جانب ذلك فقد كان هيكل يرى فى التقليد مقدمة البعث ، وأن البعث الصحيح هو الذى يقوم على فكرة تستمد مقومات حياتها من البيئة المحيطة بالكاتب ، ومن القومية والوراثة التى يخضع الكاتب لأثرهما [٣] .

ونتيجة لتغلب الثقافة الفرنسية على فكر هيكل وتعمقه فى الأدب الفرنسى ورغبته فى صياغة الحياة المصرية صياغة تستمد مقوماتها من الحضارة الغربية فقد نشر فى عام ١٩٢١ الجزء الأول من كتابه "جان جاك روسو ــ حياته وكتبه" كما نشر الجزء الثانى فى عام١٩٢٣ [٤] وقد أهدى هيكل هذا الكتاب إلى مصر الحرة وإلى القلوب الخفاقة بمعانى الحرية والعدالة والإخاء ، وإلى كل مصرى جدير بهذا الإسم رجلا كان أو إمرأة بهدف توضيح صورة لأب من آباء الحرية والمساواة وقديس من قديسى العدالة الإجتماعية الصحيحة ونصير من نصراء الإيمان بالعمل [٥] وأنه كمصرى أولا وشرقى ثانيا يريد أن يعرض على أبناء مصر والشرق صورة من قوة حيوية قامت فى الغرب لعل فى عرضها ما يجعل الصلة بين الشرق والغرب ممكنة على أساس التفاهم الحر المخلص لا على مجرد القوة الغاشمة المتحكمة[٦] .

وهذا الكتاب بالاضافة إلى أنه أول ترجمة لحياة روسو وتحليل لنظرياته باللغة العربية ففيه الطريف والجديد حول عبقرية هذا الفيلسوف ونظرياته وحول قواعد الإصلاح لإسعاد الإنسانية ونقده للملكية الخاصة والترف والإمعان فى الشهوات ودعوته إلى هدم ما إعتقده خروجا على الطبيعة من تحكم وإستبداد فى رقاب البشر وإقامة نظام جديد يقوم على الجمهورية الإشتراكية المبنية على التعاقد الحر بين أفراد المجتمع والتى لاتعرف الفوارق الاجتماعية بين الناس ويبرز تأثر هيكل بأفكار روسو فى ترديده لأقواله عن الملكية الخاصة ، وكيف أنها كانت مصدرا لكل التعاسات التى تقع على رؤوس البشر من الفقراء ، وفى أقواله

---

[١] الهلال : مجلد ١٩٣٦ ص ٤٨٥-٤٨٨ . مقال للدكتور هيكل بعنوان "أثر السياسة فى أخلاق المجتمع ـ السياسة تنهض بأخلاق الأمم القوية " .

[٢] الهلال فى ابريل ١٩٣٥ .

[٣] الهلال الماسى أول ديسمبر ١٩٦٧ ص ٢٧٩ .

[٤] أعيد طبع هذا الكتاب أكثر من مرة كان آخرها طبعة دار المعارف ١٩٧٨ .

[٥] جان جاك روسو : ط٣ الاهداء .

[٦] نفسه ص ١٢ .

عن المساواة والعدالة الاجتماعية وإزالة الفوارق بين الناس [١] وهذا لايعنى أن هيكل كان يؤمن بالإشتراكية فمن المعروف أنه عارض فى تأسيس الحزب الإشتراكى وكان يرى أن النظام الإشتراكى سابق لأوانه ، وعلى أية حال فإن ما كتبه هيكل عن روسو يدل على شدة اعجابه به من حيث الآراء والأفكار والأسلوب الموسيقى المتميز ، كما يدل على رغبته فى نشر روح التنوير من خلال قيم الحرية الغربية بين المصريين وعلى أنه كان يوقن بأن العصر الذى كان يعيش فيه كان عصر ترجمة أكثر منه عصر تأليف لذلك فإن قراءاته العديدة عن ما كتبه النقاد عن روسو ورغبته فى فتح جسور الصلة الثقافية بين الشرق والغرب ربما كان السبب الحقيقى فى نشره لهذا الكتاب .

وعلى الرغم من أن الدكتور طه حسين كان المحرر الأدبى لجريدة السياسة ، على حين كان الدكتور هيكل هو رئيس التحرير فإن طه حسين إنتقد هذا الكتاب على صفحات هذه الجريده إنتقادا لاذعا مبينا إحساسه بخيبة الأمل بعد قراءته خاصة وأن هيكل كان "مزدريا لقرائه ونقاده ، ولايحفل بأولئك ولا هؤلاء" بالإضافة إلىأنه لم يهتم بالتقسيم والترتيب هذا إلى جانب إهماله للغة [٢] وفى يقيننا أن المساجلات التى كانت تتم بين طه حسين وهيكل كان الهدف منها النقد الهادف الذى يدل على قدرة كل منهما الفذة فى تمحيص كل ما يجرى على الساحة الأدبية والفكرية من أمور وأنه مما يحمد لهيكل ان كتابة التراجم فى عصره كانت من الفنون الجديدة وأن ما كتبه عن جان جاك روسو ظهر بصورته العلمية الحديثة وأنه فى تعرضه لهذه الشخصية استطاع أن يصور الأحداث التى أثرت فيها ومنها العوامل النفسية والبيئة والتربية والحب والمرأة وغيرها .

وبعد أن تأسس حزب الأحرار الدستوريين فى عام ١٩٢٢ وقع الإختيار على الدكتور هيكل ليرأس جريدة السياسة لسان حال الحزب ، مما جعله يودع المحاماة ويتفرغ لهذا العمل الجديد الذى شارك فيه بجهوده حتى أصبحت السياسة إمتدادا حقيقيا لصحيفة الجريدة فى منهجها الفكرى وعلامة من العلامات البارزة فى تاريخ الصحافة المصرية .

وقد حرص هيكل على كتابة المقال السياسى لصحيفته والذى تعرض فيه للأحداث السياسية التى طرأت على المجتمع المصرى فدعا إلى وحدة الصفوف ومقاومة طغيان الفرد وتصدى للتجاوزات التى حدثت فى وزارة سعد التى ألفها فى عام ١٩٢٤ وعلى الرغم من أن هذه الجريدة كانت سياسية فى المقام الأول [٣] فإنه شجع على أن تظهر على صفحاتها الآراء المختلفة حول قضية تحديث المجتمع المصرى ، وأهمية الإنتهال من الفكر الأوربى وضرورة توثيق الصلة بين العقلين المصرى والأوروبى [٤] كما شجع على الكتابة عن الديمقراطية وضرورة مقاومة طغيان الفرد والاستعداد للتضحية من أجل الحرية [٥] .

وعلى الرغم من اعجاب هيكل الشديد بكل ما هو أوربى فإنه كانت تنتابه فى بعض الأوقات لحظات قلق تجاه هذا الفكر حيث إنتقد ما يصدره الغرب إلى الشرق من آثار حضارته

---

[١] نفسه ص ١٦_ ١٧ .
[٢] أنور الجندى : نزعات التجديد فى الأدب العربى المعاصر ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ص ٢٢٥ .
[٣] السياسة فى ٢٧ يونيو ١٩٢٣ .
[٤] السياسة فى ٢٩ أغسطس ١٩٢٣، ١٣ يوليو ١٩٢٥ ، ٢٥ فبراير ١٩٢٤ ، ١٣ فبراير ١٩٢٧ .
[٥] السياسة فى ١٧ يناير محاضرة للدكتور هيكل تحت عنوان " الديمقراطية والنظام البرلمانى " .

كتجارة الرقيق الأبيض والمشروبات الكحولية والحرب المنظمة التى تتعرض فيها أوربا للإسلام عن طريق المبشرين موضحا أن الغرب ما زال يتذكر الحروب الصليبية وأنه لم يتحرر بعد من التعصب الدينى [1] وأن الغربيين غالبا ما ينسون أمام المادة كل خلق وفضيلة[2].

وإلى جانب ذلك فقد تبنى الدكتور هيكل فى صحيفته تيار القومية المصرية والدعوة إلى الفرعونية [3] كبديل لفكرة الجامعة الاسلامية ، وبعد أن فرضت فكرة القومية العربية نفسها على الأحداث ونادى بعض اعضاء الحزب بمسايرة هذه الفكرة كتيار شرقى تقوده مصر فى مواجهة الفكر والحضارة الأوربية الزاحفة [4] تحفظ هيكل على هذه الفكرة ودعا إلى النظر إليها بعين الحذر خاصة وأنه يصعب تحقيقها فى ظل وجود النفوذ الإنجليزى والفرنسى على معظم هذه البلدان ، كما دعا إلى وحدة الثقافة أولا كمقدمة طبيعية للوحدة العربية ودافع عن رأيه فى إحياء الفرعونية كمسألة تواصل ثقافى بين الأجيال [5] .

وظلت السياسة تحت رئاسة هيكل مشعلا للفكر الحر ، وموئلا لأصحاب الآراء والاتجاهات المختلفة فعلى الرغم من انتقاد "السياسة" للماركسيين ومعارضة هيكل لتأسيس الحزب الإشتراكى وتنديده بالشيوعية فقد نشرت لشهدى عطية الشافعى وابراهيم عامر [6] الماركسيين ، كما قام مجلس إدارتها بتعيين محمود حسنى العرابى أحد كبار مؤسسى الحزب الإشتراكى مترجما بها .

وخلال عمل الدكتور هيكل فى رئاسة تحرير السياسة نشر كتابه "تراجم مصرية وغربية" الذى طبع فى مطبعة السياسة فى عام ١٩٢٩ والذى يعد البدايات الأولى لكتابة فن السير والتراجم السياسية التى كانت تفتقر إليها المكتبة العربية فى ذلك الوقت .

وقد إستطاع الدكتور هيكل أن يصور ببراعة الأشخاص المترجم لهم ، والعصور التى عاشوا فيها بطريقة واضحة المعالم متسقة الأجزاء شملت حلقات من التاريخ المصرى القديم والحديث كما شملت شخصيات من الغرب تركت بصماتها فى تاريخ الإنسانية [7] .

وعن الشخصيات المصرية التى ترجم لها فقد ترجم لكليوباترا آخر ملوك البطالمة فى مصر وتعرض لأثرها فى تاريخ مصر والإمبراطورية الرومانية وترجم للخديوى إسماعيل الذى تعرضت مصر فى عهده للكثير من التطورات والأزمات ، ولمصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، ولقاسم أمين نصير المرأة ، ولبطرس غالى الذى كان إغتياله نذيرا بالعديد من المشاكل التى كادت أن تعرض مصر للخطر ، ولقدرى باشا صاحب المؤلفات الشرعية والذى له أكبر الأثر فى تقنين أحكام الشرع فى المعاملات والأوقاف والأحوال الشخصية ، ولإسماعيل صبرى الذى يعد شعره على قلته آية فى الجمال الذى تهتز له النفوس ، ولثروت

---

(1) السياسة فى ١٨ أغسطس ١٩٣٢ .
(2) مذكرات فى السياسة المصرية جـ١
(3) السياسة الأسبوعية فى ٢٧ نوفمبر ١٩٢٦ ، ١٧ ديسمبر ١٩٢٧ ، ٢٨ يونيو ١٩٣٠ وأيضا كتاب ثورة الأدب / محاولات فى الأدب القومى .
(4) السياسة فى ١١ مارس ١٩٢٣ ، ٥ أغسطس ١٩٣٢ .
(5) السياسة فى ١١ يونيو ١٩٣٣ ، وملحق السياسة فى ٢٩ سبتمبر ١٩٣٣ .
(6) انظر السياسة الأعداد من ٢٩ إلى ٣١ يوليو ١٩٤٧ .
(7) من هذه الشخصيات بيتهوفن الموسيقى الألمانى البارع ، وشكسبير وشيلى الشاعرين ، وتين الناقد .

باشا رئيس وزراء مصر . والشئ اللافت للنظر والداعى إلى الإستغراب أن الدكتور هيكل لم يشتمل كتابه على ترجمة لسعد زغلول أو لرشدى باشا على الرغم من دور كل منهما المؤثر فى تاريخ مصر ، ولكن ذلك الإستغراب قد يزول عندما نعرف أن الدكتور هيكل لم يكن على وفاق مع سياسة سعد المعرضة لعدلى باشا وأنه كان يرى أن البلاد فى حاجة لجهد عدلى حاجتها لجهد سعد ، يضاف لذلك أن الخصومة بين الوفد والأحرار الدستوريين تجاوزت حدود الخلاف الحزبى والمعارضة الحزبية إلى العداوة الشخصية .

وإلى جانب ذلك فقد إنتقد هيكل مصطفى كامل وجريدة اللواء واتهمها بالتخلف لعدم مناصرة قاسم أمين فى أرائه الإجتماعية وأرجع ذلك إلى رغبة مصطفى كامل فى تملق الشعب فيما هو عزيز عليه من عادات وأوهام لإستغلاله فى الغايات السياسية ، وبأنه يزن الأمور والحقائق بنتائجها لا بقيمتها الصحيحة ولا بما تحويه وبعكس ذلك تجده يشيد بكل ما كتبه قاسم أمين ويصف كتاباته بأنها دقيقة غاية الدقة[1] وتعجب من موقف الذين هاجموه .

وهكذا تغلغل الدكتور هيكل فى روح المترجم له وعصره وإستطاع أن يستبدل قلمه بريشة المصور وأصباغه وقماشه وخطوطه حتى أخرج لنا صوراً بارعة كشفت ما كان خافياً علينا من أمور ، وفى يقيننا أنه لا يستطيع القيام بهذا العمل إلا من له قدرات راسخة فى علمى النفس والتاريخ وكذلك الأدب .

وإلى جانب ذلك فإنه نتيجة الإنقلاب ادستورى الذى حدث فى عهد وزارة صدقى ١٩٣٠ بإلغائه دستور ١٩٢٣ وإستبداله بدستور ١٩٣٠ وقيامه بحل مجلس النواب والشيوخ وتعطيله لجريدة السياسة أصدر هيكل كتابه "السياسة المصرية والإنقلاب الدستورى" بالإشتراك مع إبراهيم عبد القادر المازنى ومحمد عبد الله عنان بهدف سرد الوقائع منذ حدوث الإنقلاب الدستورى فى ٢٢ أكتوبر ١٩٣٠.

وقد جاء هذا الكتاب كوثيقة تاريخية يمكن الإعتماد عليها فى تاريخ هذه الفترة[2] وقد أوضح هذا الكتاب أن الهدف من وراء دستور ١٩٣٠ ليس الإصلاح وإنما تغليب السلطة التنفيذية على حقوق الشعب وممثليه فى البرلمان[3] كما تعرض للممارسات القمعية التى تعرضت لها المعارضة فى عهد حكومة صدقى[4] وقد ظل الكتور هيكل رئيساً لتحرير السياسة حتى ترك ميدان الصحافة فى عام ١٩٣٧ [5] ، وعلى الرغم من إنشغاله بعد ذلك بالمناصب

---

[1] تراجم مصرية ص ١٠ .
[2] أصدرته جريدة السياسة فى عام ١٩٣١ .
[3] السياسة المصرية والإنقلاب الدستورى ص ٣٠-٣٢ .
[4] نفسه ص ٥٠ .
[5] ترك هيكل ميدان رئاسة تحرير السياسة بعد أن أصدر إسماعيل صدقى قانوناً يحرم الإشتغال برئاسة تحرير الصحف على كل من طبقت عليه المحاكم قوانين النشر . أنظر السياسة فى ٢٠ أكتوبر ١٩٤٥.

الحكومية[١] والحزبية[٢] فضلا عن رياسته لمجلس الشيوخ[٣] فقد ظل محتفظاً بمقامه العلمى ، ولم تكن المناصب لتؤدى به كما أدت بكثيرين إلى ترك البحث والدراسة فقد إختار لنفسه أن يحتفظ بمكانته فى مجال التأليف وخلال ذلك إستطاع أن يؤرخ للسياسة ويغذيها بالتاريخ فأضاف للمكتبة العربية أسفاراً قيمة تنم عن التفرد والمقدرة وتفصح عن الأصالة هذا إلى جانب أنها تتميز بجمال العبارة وجلال الفكر ومن ذلك نذكر :.

- مذكرات فى السياسة المصرية :.

قصد هيكل من كتابة هذه المذكرات تصوير الحوادث التى تعرضت لها مصر أمام الأجيال التى لم تشهدها على نحو يسمح لهم بالإفادة من الخطأ لاتقائه ومن الصواب للإستزادة منه[٤] .

وتتكون المذكرات من ثلاثة أجزاء بدأ الدكتور هيكل كتابتها فى عام ١٩٤٨ وانتهى منها فىعام ١٩٥٠ وقد تم نشر الجزأين الأول والثانى فى حياته أما الجزء الثالث فقد توفى قبل أن يستكمله فقام على إعداده ابنه أحمد محمد حسين هيكل المحامى حتى تم نشره فى عام ١٩٧٧ .

ولا يختلف الجزء الثالث عن الجزئين اللذين سبقاه بل هو مكمل لهما وإن إختلفت بناؤه على بنائهما فالجزأين الأولين وضعا وفقا للترتيب الزمنى للأحداث فى حين يتناول الجزء الثالث موضوعات بعينها مثل قضية فلسطين والنزاع المصرى الإنجليزى فى مجلس الأمن ، وأزمة مجلس الشيوخ فى يونيو ١٩٥٠، وقضية الوثائق السياسية المزورة [٥] .

ومع أن الدكتور هيكل يؤكد أن مذكراته تصور الحوادث كما وقعت وتتعرض لإتجاهات الرأى المختلفة ، وأنها لم تتناول إلا ما شاهده أو شارك فى صنعه من أمور السياسة المصرية ، وبأن هدفه من كتابتها أن تكون مرجعا لمن يريد أن يكتب تاريخ مصر خلال هذه الفترة فإن شرط المذكرات أنها تصور الحادث عند وقوعه أو الرأى عند تكوينه أما إذا إستعاده الكاتب بعد وقوعه أو تكوينه فإنه يكون متأثرا بحالته وقت الكتابة وبالنتائج التى ترتبت على الحادث ، وهذا ما ينطبق على مذكرات الدكتور هيكل من هنا فمن الموضوعى القول أنها تدخل فى باب التاريخ أكثر منها فى باب المذكرات [٦] .

ومع ذلك فلا يستطيع أحد أن ينكر أنها حوت أعمق الأسرار فى الشئون المصرية التى عاصرها وعاش أحداثها كأحد المساهمين فيها ، ومن هنا جاءت سجلا حافلا لتاريخ مصر .

---

[١] تولى الدكتور هيكل وزارة المعارف فى وزارة محمد محمود الثانية التى شكلت فى ٣١ من ديسمبر ١٩٣٧ إلى أن إستقالت فى عام ١٩٣٩ ثم عاد وزيراً للمعارف فى عام ١٩٤٠ فى وزارة حسين سرى وظل بها حتى عام ١٩٤٢ ، وفى عام ١٩٤٤ تولى أمر وزارة المعارف مرة أخرى ، ثم وزارة الشئون الإجتماعية فى عام ١٩٤٥ .

[٢] إختير الدكتور هيكل نائباً لرئيس حزب الأحرار الدستوريين فى عام ١٩٤١ ، كما تولى رياسة الحزب فى عام ١٩٤٣.

[٣] تولى الدكتور هيكل رياسة مجلس الشيوخ فى يناير ١٩٤٥ ، وظل يمارس هذا العمل اكثر من خمس سنوات أرسى خلالها تقاليد دستورية أصيلة .

[٤] هيكل مذكرات فى السياسة المصرية ج١ ، القاهرة دار المعارف ١٩٧٧ ص٨ .

[٥] د.محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية جـ ٣ ، القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الأولى ١٩٧٧

[٦] محمد شفيق غربال : تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية جـ١ القاهرة ، النهضة المصرية ١٩٥١ ص١٢ .

لقد بدأ هيكل هذه المذكرات بعرض لحياته كطالب علم ينتمى إلى أسرة من أعيان الريف يهوى القراءة والإطلاع ، ثم يذهب إلى فرنسا لدراسة القانون ويحصل على الدكتوراة من هناك ويعود إلى مصر قبيل الحرب العالمية الأولى حيث ينهمك فى أمور بلاده السياسية ويشارك فى أحداثها ومعالجة قضاياها وفى مقدمتها قضيتا الاستقلال والدستور والمحافظة عليهما وإلى جانب ذلك فقد حاول إثراء الحياة المصرية بما تزود به من حضارة الغرب .

والجدير بالذكر أن الدكتور هيكل إرتفع بمذكراته فوق الإعتبارات الحزبية بنزاهة واضحة المعالم ، وتمسك بقواعد الأخلاق السياسية وبشرف الكلمة وساعده على ذلك إيمانه الراسخ بحرية الرأى وبالمصلحة الوطنية فجاءت سجلا تاريخيا لفترة هامة من تاريخ مصر .

الإمبراطورية الإسلامية والأماكن المقدسة :.(١)

من المعروف أن اندكتور هيكل ترك مجموعة من آثاره السياسية إما مخطوطة لم تنشر ، وإما متناثرة فى طيات الصحف والمجلات .

وكتاب الإمبراطورية الإسلامية والأماكن المقدسة عبارة عن مجموعة مقالات كتبها الدكتور هيكل فى عام ١٩٤٢ ألقى الكثير منها فى الإذاعة المصرية وقد جمع هذه المقالات نجله أحمد محمد حسين هيكل المحامى ونشرت للمرة الأولى فى عام ١٩٦١ .

ويدور هذا الكتاب حول الأسس التى يقوم عليها النظام الإقتصادى والسياسى والإجتماعى فى الإسلام حيث أوضح الدكتور هيكل فيه أن النظام الذى يتفق مع مقررات الإسلام هو النظام الذى تكفل فى ظله الحريات ويتخذ لنفسه أساساً من رضا المحكوم على الحاكم وحق المحكوم فى مراقبة الحاكم ومحاسبته .

وتطرق الكتاب إلى فكرتى الديمقراطية والإشتراكية فى الإسلام موضحاً أن الإشتراكية الإسلامية تناقض الشيوعية كما تعرض لتطور نظام الحكم ، ومبادئ الحضارة الإسلامية وحرية العقيدة فى ظل الحكم الإسلامى .

ومع أن هيكل رد فى مواقع متفرقة من هذا الكتاب على تهم المستشرقين وما يثيرونه من شبهات ، فإن إسلوبه فى كتابة هذه المقالات كان أقرب ما يكون إلى إسلوب المستشرقين فنراه يصور الفتوحات العربية للشام والعراق بالغزو ، ونظام الخلافة بالإمبراطورية ، وسيدنا محمد عليه السلام بالنبى العربى(٢) .

هذه أبرز آثار الدكتور هيكل السياسية التى شغلت معظم رجال الفكر والسياسة والعديد من المؤرخين من أعلام عصره وفرسان جيله وساهمت فى صياغة الحياة المصرية صياغة حضارية تستمد مقوماتها من ينابيع الشئون المصرية التى عاصرها وكان أحد المساهمين فيها وأعانه فى ذلك قلمه وخبرته فجاءت سجلا حافلا لأحداث مصر فى فترة من أبرز مراحل دعوتها إلى الإستقلال والدستور .

---

(١) انظر كتاب الهلال ، مارس ١٩٦١ ، وقد تم طبع هذا الكتاب مرة أخرى تحت عنوان "الحكومة الاسلامية" بعد أن حذف منه القسم الخاص بالوصف التاريخى للأماكن المقدسة فى الشرق .

(٢) انظر الحكومة الإسلامية ص ١٥ ـ ٢٧ .



الرئيس عبد الناصر يعلن قرار تأميم شركة قناة السويس

٧- علاقه تأميم قناة السويس بحرب ١٩٥٦

كان قرارُ الرئيس جمال عبد الناصر فى السادس والعشرين من يوليو ١٩٥٦ بتأميم شركة قناة السويس العالمية شركة مساهمة مصرية ، ونقل جميع ما لها من أموال وحقوق وما عليها من التزامات الى الدوله[١] بمثابة تحدٍ كبيرٍ للغرب ، وضربةٍ قويةٍ لهيبته واحتكاراته.

ومع أن مصر بتأميمها للقناة قد مارست حقاً قانونياً معترفاً به خاصة وأنها قد أعلنت تمسكها باتفاق الأستانه عام ١٨٨٨ الذى ينص على حريه الملاحه عبر القناة[٢]، والتزمت بأن تدفع لحملة الأسهم قيمة اسهمهم على اساس سعر الاقفال الاخير لبورصة باريس فان كلا من انجلترا وفرنسا عارضتا قرار التأميم واعتبرته خطراً حقيقياً يهددُ الاتفاقات الدولية التى تضمن حرية الملاحة عبرقناة السويس ، كما حاولتا استغلاله لتهينة المناخ للهجوم على مصر واقصاء الرئيس عبد الناصرعن الحكم ومنعه من السيطرة على القناة [٣]، فى تحد سافر من الدولتين لمصر وقيادتها . ذلك ما يدفعنا الى الوقوف على الأسباب الحقيقية ازاء هذا الموضوع :

الواقع انه كان لانجلترا وفرنسا نوايا عدوانية ضد مصر قبل التأميم فبريطانيا لم تكن راغبة فى اضعاف نفوذها وانحسار هيبتها فى منطقه الشرق الاوسط وبخاصة بعد ظهور عبد الناصر وتزايد شعبيته ورفضه الصلح مع اسرائيل[٤] ، ودعوته للقضاء على الاستعمار وتبدى هذا فى عقد اتفاقية الجلاء فى ١٩ اكتوبر ١٩٥٤ ،ومغادرة آخر جندى بريطانى لمصر فى يونيو ١٩٥٦ ،ثم رفضه لحلف بغداد[٥] واعلانه لسياسة الحياد الايجابى وذهابه الى مؤتمر باندونج واعترافه بالصين الشعبية ، وكسره لاحتكار السلاح بتوقيعه على صفقة الأسلحة التشيكية[٦] التى وقعت مع الاتحاد السوفيتى ، وتم توريدُها عن طريق تشيكوسلوفاكيا هذا الى جانب دعوته للقومية العربية ، وتشجيعه للدول المحايدة على الاستمرار فى سياستها ، وفرنسا التى كانت مستاءةً من إمداد مصرَ لثوار الجزائر بالسلاح والدعم المعنوى ، ومن اتخاذ القيادة الجزائرية

---

[١] انظر خطاب الرئيس جمال عبد الناصرفى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ ، القاهره اداره الشؤن العامه بوزارة التربيه والتعليم ص ٦ .

[٢] حول معاهده الأستانه فى ٢٩ أكتوبر ١٨٨٨ بشأن الملاحه البحريه فى قناه السويس البحريه وقت السلم والحرب، أنظر راشد البراوى : مجموعه الوثائق السياسيه، جـ١ القاهره ١٩٥٢ ص ٨٢ ـ ٨٥ .

[٣] الاهرام فى ١٩٥٦/٧/٢٨ .

[٤] ارسلت الولايات المتحده بعثه أندرسون الى القاهره فى ديسمبر ١٩٥٥ للتباحث مع عبد الناصر فى امر الصلح مع اسرائيل ونمقابله بن جريون وقد رفض عبد الناصر هذه الفكره تماما

M.Abdel Wahab: Nasser and American foreign policy 1952- 1956 , The American university in Cairo press. p. 115- 116 .

[٥] للتفاصيل انظر :محمد حسنين هيكل :قصه السويس آخر المعارك فى عهد العمالقه، بيروت ١٩٨٠ ص ٢٤ـ٢٥

[٦] محمد فوزى ، حرب السويس ـ ترجمه مختار الجمال ،القاهره ص٤٣

من القاهرة مقرا لقيادتها[١] ، كل ذلك كان داعيا إلى أن تتخذ من تأميم عبد الناصر للقناة وسيلة لإعادة نفوذها إلى الشرق الأوسط ، وإلى تصفية حساباتها مع القيادة الثورية في مصر والتى كان لها طموحات كبيرة فى توحيد العالم العربى .

أما اسرائيل التى اتخذتها الدولتان كمخلب قط فقد وجدت فى هذه الحرب فرصة سانحة لإثبات وجودها، وكسر الحصار المفروض عليها من جانب الدول العربية ، واجبارها على التصالح معها واجهاض مسيرة عبد الناصر لمسيرة التحرر العربى ، ونتيجة لذلك استغلت الدولُ الثلاثُ قرار التأميم ، ورسمت الخططَ لإحتلالِ مصرَ ، وإسقاطِ حكومة عبد الناصر ، وإحلال حكومة أخرى محلها تبارك الغزو وتسانده . ولكن هذه الدول فوجئت بأن قرار التأميم دفق المشاعر الوطنية لدى الشعب المصرى على نحو غير مسبوق خاصة وأنه كان يلبى حقا يراود أمال كل المصريين ويؤكد على الإستقلال الكامل لمصر بما فى ذلك استقلال الإرادة السياسية كما أنه يضيف أهمية القناة إلى أرصدة مصر الإستراتيجية[٢] ويحقق امكانية تمويل السد العالى الذى تراجع الغرب عن تمويله[٣] وإلى جانب ذلك فان هذا القرار قد ساعد على تعبئة الأمة العربية من المحيط إلى الخليج وراء عبد الناصر ، كما كان نقطة تحول فعلية فى تاريخ التحرر العملى للشعوب خاصة وأن التأميم كان رداً على غطرسة الغرب ، وتحدياته لمصائر الشعوب .

لقد كان تقديرُ عبد الناصر لعملية التأميم أن اشتراك فرنسا فى غزو مصر أمرٌ بعيدُ الإحتمال نظرا لتورطها فى الجزائر ، كما كان يشك فى تشجيع بريطانيا لإسرائيل على محاربة مصر لأن ذلك فى تقديره سيضعف من وضع بريطانيا فى المنطقة وكان تقديره أن كلا من واشنطن وموسكو ستكونان بعيدتين عن حلبة الصراع[٤] ، ولكنه كان يتوقع قيام بريطانيا وحدها بعمل حربى ضد مصر . ولم تثبت توقعات عبد الناصر واجتمعت الدول الثلاث على العدوان على مصر .

لقد حاول عبد الناصر استبعاد فكرة احتمالات التدخل العسكرى عن طريق تكثيفه للعمل السياسى ، وكان فى تقديره أن تمكنه من إستغلال المناخ الدولى لصالحه سوف يفوت الفرصة على من يرغبون فى التدخل العسكرى ضد مصر ، وان تناقص امكانات هذا التدخل ممكنه إذا تأخر موعدها بعد ثلاثة أشهر من التأميم حيث تبرد الأزمه ومن هنا حاول إكتساب الوقت[٥] خاصة وأن لديه العديد من الأوراق الرابحة فلديه تأييد معظم الدول العربية التى تتحكم فى إنتاج البترول ، ولديه الإتحاد السوفيتى ، ودول مؤتمر باندونج .

---

[١] هيئة البحوث العسكرية :حرب العدوان الثلاثى على مصر جـ١ القاهرة ص ٢٧ .

[٢] محمد حسنين هيكل : ملفات السويس - حرب الثلاثين سنة ص ٤٥٩.

[٣] لتفاصيل ذلك أنظر عبد الحميد البطريق : التيارات السياسية المعاصرة ١٨١٥ - ١٩٦٠ ، القاهرة ١٩٨٠ ص ٤٦٩ .

[٤] هيئة البحوث العسكرية : مرجع سابق ص ٤١.

[٥] هيكل : مرجع سابق ص ٤٦٠ - ٤٦٢ .

وعلى الجانب الأخر اتفقت الحكومتان البريطانية والفرنسية على توجيه إحتجاج شديد اللهجة إلى مصر بسبب تأميمها للقناة وبأنهما سيتخذان جميع التدابير اللازمة لإحترام مصالحهما[١] وقد رفضت مصر تسلم الإحتجاج من أساسه .

وإلى جانب ذلك قررت الحكومتان البريطانية والفرنسية تجميد الحسابات والأرصدة المصرية فى بنوكهما وتجميد ما لشركة قناة السويس المؤممة من أموال وودائع[٢] وقد تبعتهما الولايات المتحدة فى ذلك ولم يتوقف الأمر عند ذلك بل أوعزت إنجلترا وفرنسا إلى البواخر العابرة للقناة برفض دفع الرسوم للهيئة الجديدة لإثارة المشاكل معها ، كما أوعزت للمرشدين الأجانب بالإنسحاب من أعمالهم حتى تتعطل الملاحة .

وكان رد عبد الناصر على ذلك هو أن يدع البواخر الرافضة لدفع الرسوم تمر حتى تستمر الملاحة بلا تعطيل على أن تضاف الرسوم إلى حساب شركاتها[٣] .

يضافُ إلى ذلك أن مصرَ قد نجحت فى إدارة القناة بعد إنسحاب المرشدين الأجانب منها ، وفوتت على الغرب أى ذريعة يمكنه استغلالها حول ذلك الموضوع .

ومع كل ذلك فقد عارضت انجلترا وفرنسا قرار التأميم وإجتمع وزراء خارجية امريكا وفرنسا وبريطانيا[٤] فى لندن فى الثانى من أغسطس ١٩٥٦ واصدروا بيانا ثلاثيا عارضوا فيه قرار التأميم بحجة أن للقناة صفة دولية ، واقترحوا عقد مؤتمر دولى من الدول الموقعة على إتفاقية الأستانة وغيرها من الدول ذات المصالح الحيوية فى إستخدام القناة ، وتحدد عقده فى ١٦ اغسطس بلندن[٥] .

وإنعقد المؤتمرُ فى موعده المحدد ، وحضره ٢٢ دولة ولم تحضره مصرُ لأن الدعوة إلى هذا المؤتمر قد تمت دون إستشارتها مع أنها صاحبةُ الحق الأول إزاء الموضوع فما يبحثُ فيه يتعلق بسيادتها هى . ورغم ذلك لم يوفق المؤتمرُ فى إصدار بيان أو إقرار مشترك يستطيع أن يوفق بين وجهات النظر المتباينة وان كان قد إتفق فيه على تعيين لجنة خماسية من ممثلى حكومات إستراليا ، واثيوبيا ، وإيران ، والسويد ، وأمريكا برئاسة رئيس وزراء استراليا روبرت منزيس بهدف الاتصال بالحكومة المصرية وعرض مقترحاتها على الرئيس عبد الناصر بوضع القناة تحت إشراف دولى . وقد قابلت هذه اللجنة عبد الناصر الذى تمسك

---

(١) الأهرام فى ١٩٥٦/٧/٢٨ ، والبطريق : مرجع سابق ص٤٧٠ .
(٢) الأهرام فى ١٩٥٦/٨/١٩ .
(٣) هيكل : مرجع سابق ص ٤٨٣ .
(٤) هم جون فوستر دلاس ، وكريستيان بينو ، وسلوين لويد .
أنظر عبد الرحمن الرافعى : ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، القاهرة ، النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ١٩٥٩ ص٢٣٠ .
(٥) اطلق على هذا المؤتمر مؤتمر المنتفعين : انظر البطريق مرجع سابق ص ٤٧٠
وحمدى حافظ : ثورة ٢٣ يوليو الأحداث والأهداف ، القاهرة ، الدار القومية للنشر ١٩٦٥ ص ٦٩ .

بالسيادة المصرية على القناة ورفض فكرة الاشراف الدولى[١] وطالب بإيجاد حل سلمى يتفق وميثاق الأمم المتحدة مما احاط مهمة اللجنة بالفشل.

وفى أعقاب ذلك طرح دالاس وزير الخارجية الأمريكى مشروعَ إنشاء جمعيةِ المنتفعين بقناة السويس ، والذى ينص على التعاون بين مصر والهيئة الجديدة التى تتولى تحصيل الرسوم على أن تدفع الأرباح لمصر فيما بعد . وقد رفضت مصر هذا المشروع بحجة أنه يتعارض مع السيادة المصرية ، كما أنه يمنع مصر من حقها فى تحصيل الرسوم[٢] .

وإجتمع مؤتمر لندن للمرة الثانية فى ٢٣ سبتمبر لمناقشة الموقف وإنفضت أعماله دون التوصل لنتائج ملموسة مما دفع انجلترا وفرنسا إلى عرض القضية على مجلس الأمن[٣] ، ولم ينجحا فى إنتزاع الموافقة منه على تدويل القناة خاصة وأن روسيا لوحت بإستخدام الفيتو .
وهكذا فشلت انجلترا وفرنسا فى معركتهما السياسية ضد مصر ونجح عبد الناصر إلى حد كبير فى جذب أنظار العالم نحو حق مصر فى تأميم القناة مؤكداً تعهد مصر بإحترام حرية الملاحة فى القناة ، وقد أبلغ المستر داج همرشلد سكرتير عام الأمم المتحدة بوجهة النظر المصرية .
وخلال تلك الأحداث كانت بريطانيا وفرنسا تخططان للمؤامرة وتضعان اللمسات الأخيرة للقيام بهجوم مسلح على مصر تشترك اسرائيل فيه .

ومع أن عبد الناصر كان لايستبعد قيام انجلترا وفرنسا بمغامرة عسكرية ، فإن الأمر الذى إستبعده وإستحال وقوعه هو أن تلجأ بريطانيا وحدها أو بريطانيا بالتنسيق مع فرنسا إلى الإستعانة بإسرائيل فى أى عملية ضد مصر لإستعادة القناة بالقوة لأن ذلك سيعرض مركزيهما فى الشرق الأوسط للخطر ويكون وحجده كفيلاً بإسقاط النظم الموالية لإنجلترا وفرنسا فى المنطقة . ومع ذلك فإن ما حدث كان على غير ما توقعه عبد الناصر فقد اتفقت انجلترا وفرنسا مع إسرائيل على قيام القوات الإسرائيلية بهجوم واسع النطاق على القوات المصرية فى سيناء أمام نقطة الكونتيلا فى ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ بهدف قطع مواصلات الجيش المصرى والوصول إلى مشارف قناة السويس فى أقرب وقت ممكن ، وبعدها وجهت الحكومتان البريطانية والفرنسية نداء بالتوازى إلى الحكومتين المصرية والإسرائيلية يتضمن وقف جميع الأعمال الحربية ، وسحب قوات الطرفين المسلحة إلى مسافة عشرة أميال بعيداً عن القناة ، وقيام القوات الأنجلو فرنسية مؤقتاً بإحتلال مواقع رئيسية فى كل من بور سعيد والإسماعيلية والسويس لضمان حرية المرور بها والقيام بالفصل بين المتحاربين حتى يتم الوصول إلى

---

[١] الجمهورية فى ١٩٥٦/٩/١٠ .
[٢] هيئة البحوث العسكرية : مرجع سابق ص ٥٣ - ٥٥
[٣] بدأ مجلس الأمن مناقشة هذا الموضوع فى الخامس من أكتوبر ١٩٥٦ ، واستنكر معظم أعضاء المجلس فكرة الإلتجاء إلى القوة وفوض المستر داج همرشلد السكرتير العام للأمم المتحدة فى أمر حل القضية بالطرق السلمية .
البطريق : مرجع سابق ص ٤٧١ .

ترتيبات نهائية ، وإذا لم تستجب القوات المتحاربة لهذ النداء خلال اثنتا عشر ساعة تنتهى فى تمام الساعة السادسة والنصف من مساء الأربعاء ٣١ من أكتوبر فإن القوات البريطانية والفرنسية سوف تستخدم القوة اللازمة لتنفيذ شروط الإنذار . وقد قبلت اسرائيل شروط الإنذار بينما رفضته مصر .

والمتفحص لشروط هذا الإنذار يتضح له أن التحرك الإسرائيلى والإنذار كانا خيوطا مشتركة فى نسيج واحد فالإنذار لم يوضع بهذه الصيغة إلا لكى ترفضه مصر خاصة وأنه يحمل بين جنباته شبح التواطؤ وسوء النية .

ونتيجة لرفض مصر للإنذار تزايدت إحتمالات الخطر ، وبدأت موجات القصف الجوى على مدن مصر وقراها ، كما قامت القوات البريطانية والفرنسية بعمليات إنزال بهدف إحتلال ضفتى القناة .

ولحفز همم العالم على سرعة التدخل فى الموقف ، ووضع دول العالم أمام واقع جديد صدرت الأوامر بتعطيل الملاحة فى قناة السويس عن طريق إغراق ست من سفن الشحن المحملة بالأسمنت فى منطقة البحيرات المرة مما أدى إلى توقف الملاحة ونقص واردات أوربا الغربية من البترول بمقدار ٣٠٠ ألف برميل يومياً ، وإصابة التجارة العالمية بخسارة فادحة .

وإلى جانب ذلك أعلن عبد الناصر عن إنشاء جيش التحرير الوطنى فى التاسع من أغسطس ١٩٥٦[١] ، على أن يفتح باب التطوع أمام المواطنين ، فهبت جموع الشعب للذود عن حياض الوطن ، وتم تشكيل وحدات المقاومة الشعبية .

وفى فجر الخامس من نوفمبر تمكنت القوات الإنجليزية والفرنسية من الدخول إلى بورسعيد والإصطدام مع قوات المقاومة الشعبية بها ، وخلال ذلك كثفت مصر جهودها السياسية لفضح حقيقة العدوان ونواياه ، وطالبت مجلس الأمن بعقد جلسة طارئة لبحث الموقف ، كما شهد منبر الأمم المتحدة أعنف المناقشات ووقفت الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتى معاً فى التصويت ضد المعتدين حتى تم الإتفاق على مشروع القرار الكندى الذى يقضى بوقف العمليات الحربية والإنسحاب من الأراضى المصرية وإنشاء قوة طوارئ دولية لإعادة الأمور إلى نصابها ، والإشراف على إنسحاب القوات المعتدية . ولما تلكأت إنجلترا وفرنسا فى الأمر أعلن الإتحاد السوفيتى عن إستعداده لإرسال متطوعين إلى مصر لإنهاء الإحتلال[٢] .

وخشية إنفلات الأمر إتخذت الأمم المتحدة قرارا مجددا فى الرابع والعشرين من نوفمبر يقضى بإجلاء المعتدين فورا[٣] عن مصر ونتيجة لذلك وجدت الدول المعتدية نفسها واقفة ضد إرادة المجتمع الدولى ، وأن عليها الإنسحاب فوراً فإستجابت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل إلى

---

[١] الرافعى : مرجع سابق ص ٢٣٤ .

[٢] للتفاصيل أنظر مذكرات محمود رياض : البحث عن السلام والصراع فى الشرق الأوسط .

[٣] المتحف الحربى بالقلعة : تقرير الجنرال كيتلى عن العمليات الحربية ضد مصر نوفمبر - ديسمبر ١٩٥٦ص ٣٢ .

قرار الأمم المتحدة وقررت وقف القتال فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل من صبيحة الأربعاء ٧ نوفمبر ١٩٥٦ كما بادرت بسحب قواتها فرحل آخر فوج من القوات الإنجليزية والفرنسية من بورسعيد وبورفؤاد فى ٢٢ ديسمبر ١٩٥٦ كما اضطرت إسرائيل إلى الإنسحاب من سيناء و غزة بعد تلكؤ،وخرج أخر قواتها من هذه المناطق فى السابع من مارس ١٩٥٦[١] .

وهكذا كان قرار التأميم من أهم القرارات فى تاريخ مصر المعاصر ، وهكذا انتهى العدوان الثلاثى بالفشل الذريع ، وبلاكسب سياسى أو عسكرى لأطراف العدوان وتحررت مصر من شبهة التحالف مع الغرب ، كما أنها قد إستردت كل حقوقها عدا مطلبٍ واحدٍ هو منعُ إسرائيل من المرور فى خليج العقبة .

والسؤال المطروح هو إذا كانت ملكية شركة القناة ستنتقل إلى مصر فى عام ١٩٦٨ بموجب إمتياز ١٨٥٤ أى بعد إثنتا عشر عاماً فقط من التأميم ، فلماذا تسرعت القيادة المصرية، وقامت بمخاطرة غير مأمونة العواقب فأممت القناة فى عام ١٩٥٦ مما عرض الوطن لأخطار جسيمة ، كما أنها دفعت تعويضات لأصحاب الأسهم كان من الممكن تلافيها .

الواقع ان التأميم كان رداً على التحديات التى مثلت جرحاً فى الكرامة المصرية ، وان هذا الموضوع ما زال يحظى بكل تدقيق وتحليل ودراسة بهدف إستخلاص الدروس والعظات والعبر .

---

[١] الرافعى : مرجع سابق ص ٢٦٩ .